

# لا تحزنى ياغالية

أحمد فريد

الناشر

مطبعة العزازی

إسم الكتاب : لا تحزنى ياغالية

المؤلف : أحمد فريد

سنة النشر : ٢٠١٤ م

رقم الإيداع : ١٣١٠١ / ٢٠١٤

الناشر

مطبعة العزازی

٢٠ ش دمنهور - متفرع من هارون الرشيد

ميدان الجامع - مصر الجديدة

تليفون : ٢٦٢٢٣٦٦٣ فاكس : ٢٦٤٤٢٠٤١

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

م ٢٠١٤

## الإهداء

ما أصعب حياة الذين تعيش الأقدار فى وجدانهم  
.. فهم أحرار بلا إرادة !!

أحمد فريد

obeikandi.com

كانها لحظة ولاده متعثرة، حاول قرص الشمس بصعوبة أن يفلت من رحم الأفق البعيد مخترقاً سحب الشتاء الكثيفه ، التي حالت دون وصول سواعده الدافئة الى سطح الأرض.

كانت الأمطار تهطل بغزارة فتصيب الطيور المغردة بالجزع والخوف بينما تدغدغ أوراق الشجر فوق أغصانها ، لتصبح دون أن تدري مانحة للسعادة والشقاء فى نفس اللحظة.

كانت عقارب الساعة قد تجاوزت منتصف النهار بقليل.

جلست ريم خلف النافذة الصغيره ذات القضبان الحديدية التي تفصلها عن نهر الطريق الملتصق بجراج البناء السكنى العتيق فى منطقة الزمالك .. الموقع ساحر حيث يحتل المبنى النواصى الأربع ، وكأنه يحتضن الطبيعة بأكملها ويرعاها بجدرانہ الأسمنتية ، فكل طوابق العقار تطل على نهر النيل والأشجار الكثيفة التي تكاد تختفى أغصانها تحت أجنحة طائر النورس وغيره من الطيور المهاجرة التي اختارت مستقرها بين الأفرع وفوقها .

وكانها لحظة توأمة بين ريم وحالة الطبيعة ، فما كانت تراه أمامها بعينها يحمل نفس الصورة فى وجدانها ، حيث امتزج التفاؤل بالحزن والرضا بالخوف والثقة بالإحباط .

ريم هي ابنة مستأجر الجراج الذي أمضى فيه أكثر من ستين عاماً منذ نزوحه من إحدى قرى الشرقية وهو فى العشرينيات من عمره ، تزوج وأنجب ثلاثة أبناء وكانت هي الشقيقة الصغرى من بين أشقائها ، وبالرغم من أن والدها لم يكن متعلماً بل يكاد يقترب من الامية إلا أنه إتخذ قرارا وبإصرار شديد بأن تصبح ابنته المقربة إلى قلبه دكتوراه مثلها مثل أى فتاة تعيش وسط أسرة ميسورة الحال من أصحاب المراكز العليا على حد مفهومه،ولهذا ناضل كثيرا من أجلها ومن أجل تحقيق حلمه الكبير ، وأرسى بفطريته فكرة أن ريم دكتوراه لدرجة أن الجميع اعتادوا على أن ينادوها بهذه الصفة خاصة أسرتها وكل ساكنى العقار ورواد الجراج أيضاً من الغرباء وغير الغرباء ، وبدأت ريم تضع أولى خطواتها على طريق الحلم الكبير واستطاعت أن تحصل على مجموع يؤهلها للالتحاق بكلية الطب وهي لا تدرى بأنه تفوقها هذا كان ثمنه غاليا من معاناة والدها الذى لم يدع وسيلة شريفة للاسترزاق إلا وانتهجها ، حيث واصل ليله بنهاره وهو يسابق الزمن ويعاند عاقبته ويبتلع حرمانه من أدنى حقوقه فى الحياه الطبيعية من نوم وطعام وملابس ، فكل شئ سخره من أجلها واقتصر كل المعانى فى إطار ذلك الهدف فقط.

ريم فريد فى السنة الثانية بكلية الطب ، قد حباها الله بجمال هادئ لا ينافسها فيه إلا ليلالى ربيع الطبيعة . بشرتها بلون لحظات غروب الشمس وعيناها واسعتان تضمان مقلبتن لهما

بريق النجم فى الأفق الصافى وشعرها خصائله ملساء يصعب التحكم فيه أو إخضاعه إلى أى قيود ، وقوامها التزم بكل مقاييس الفتنة والأنوثة ونبرة صوتها دافئة حنونة تجبر كل المنصتين إليها على الاستمرار فى صمتهم لعدة لحظات بعد انتهاء حديثها وكأنهم يستطيعون أحرف كلماتها فى وجدانهم ، تتميز بشخصية قوية بلا تصنع وساعدها على ذلك إصرار والدها على ألا تتعامل بطريقة أو أخرى مع رواد الجراج ، فقد أثر أن يكون لها عالمها الخاص داخل غرفتها الضيقة التى انفردت بها منذ كان عمرها خمس سنوات حتى أصبحت شابة فى أول العشرينيات من عمرها .

لم تكن تدرى أن اللبالي تخبئ مفاجأه لها تحمل معها كل التناقضات فى لحظة واحدة ، حيث زفت إليها بشرى تفوقها فى الدراسة وانتقالها للمرحلة الثالثة وفى نفس التوقيت اختطف الموت والدها دون تمهيد .

حصاد السنين التهمته لحظة غادرة مرة واحدة .. لم يخطف الموت والدها فقط بل سحق بعده كل الأمن والأمان ، ودمر فى لحظة حلم العمر الطويل وكشف الغطاء عما كانت تخفيه الاعماق من حولها .. لحظة سامة وقاتلة انشقت عن الزمن الجميل لتنفجر فى وجهها وتحيل حياتها إلى كابوس مظلم يدور فى فلك تلك الحيرة ودوامات الفكر المشتت.

بدأ شقيقها محمود وسعيد اللذان يكبرانها بعدة سنوات قليلة ينسجان أمامها خيوط الكارثة بمنطق الواقع وعدم قدرتهما على تحمل الأعباء التي كان يضعها والدهما على كاهله ، وأيضا من منطلق بقايا وتراكمه إحساسهما بتمييزها عنهما في كل شيء أثناء حياة أبيها ، كما أتاحت الفرصة لوالدتها لأول مرة في حياتها أن تعبر عن رأيها الذي قبرته قهرا في صدرها وهو رفضها لمسألة تعليمها بمنطق أن الفتاه ليس لها إلا منزل زوجها ، ولذلك انضمت بوضوح الى تلميحات الشقيقتين بأن الظروف لم تعد تسمح بمواصلة رحلة التعليم وبأن عليها دوراً يجب القيام به لمساندة أخويها ومعاونتهما على مسئوليات الحياة التي تفرضها ظروفهما الاجتماعية والمالية.

كانت تجلس وراء قضبان النافذة تتأمل ثورة الطبيعة التي تسللت دون أن تدري إلى أعماقها وكأنها تبحث بنظرة عناب عن والدها الذي تركها ورحل عنها فجأه ، أدركت في هذه اللحظة فقط أن هذا الرجل الطيب المسالم والهادئ في طباعه كان في حقيقة الأمر صرحاً صليداً وقوياً يصد عنها كل ما يعرقل مسيرتها في الحياه ، أدركت فور رحيله بأنه كان الغطاء الذي يستر لياليها والحلم لكل أمانيها والكلمات التي كانت تردد معانيها .

همست إلى نفسها تناديه:

.. أين أنت يا أبى!؟

.. ليت كان فى قدرتك أن تأخذنى معك!

.. كيف سأواجه حياتى من بعدك؟

.. لماذا تركتنى أنا وأخذت معك الأمل والأمان والحلم  
والحنان!!؟

.. أين أنت يا أبى؟!

و .. انسابت دموعها دون إرادتها وكأنها أيضا قررت الرحيل  
من بين جفنيها لتبحث عن ذلك الغائب بالرغم من علمها بأن من  
المستحيل أن يعود .

و .. انتبهت لصوت الضوضاء على غير العادة أثر دخول عدة  
سيارات أجرة متتابعة إلى داخل الجراج ، وارتب باب غرفتها  
قليلا لتتمكن من رؤية القادمين لتتأكد لحظتها أنهم من عائلتها  
التي تضم الخال وزوجته وولده والعم وابنته وابن العم وزوجته  
وبعض الصبية والأطفال وآخرين غرباء لم ترهم من قبل ،  
واندفعت والدتها برفقة أشقائها للترحيب بالقادمين بكل عبارات  
الامتنان والفرحة .. وفوجئت بأما تناديها بصوت عال قائلة :

- يا ريم .. يا ريم تعالى إلى هنا .. عمك وخالك قد حضرا من  
البلد

لم تسمح الغرف الصغيرة التي تقيم فيها العائلية بإستيعاب ذلك  
الحشد القادم دون مقدمات ، مما دفع الأخوين إلى أن يخرجوا كل

المقاعد التي بالداخل والاستعانة بالكنبة الخشبية وبعض الوسائد الإسفنجية حتى يتمكن الجميع من الجلوس فى شكل دائرى عند نهاية ممر الجراج.

وبمجرد ظهور ريم حتى تعددت عبارات الترحيب من الجميع خاصة من زوجة خالها التي فاجأتها قائلة:

.. أهلا .. أهلا بعروستنا الجميلة.

لم تتوقف ريم عند تلك العبارة كثيرا وواصلت مصافحة الجميع فرداً بعد الآخر الى أن واجهت شابا غريبا عن المجموعة فبادرها العم مردداً:

الأستاذ قنديل مدرس العلوم فى مدرسة (الأمل)الاعدادية.

و.. راح يعدد محاسن الأستاذ قنديل لكونه مثقفا ومهذبا ومن أكبر عائلات الشرقية ، بالإضافة إلى أنه عائد بعد رحلة غربية من الإمارات حيث قضى فيها أكثر من خمس سنوات .. ثم أردف بفخر شديد.

.. ولديه سيارة واسعة .. موجودة عند الميكانيكى لإجراء بعض التصليحات فيها.

رمقته ريم بنظرة سريعة غير مبالية ، ولكنها كانت كافية لتلتقط صورة ملابسه المزركشة وربطة عنقه التي تدلت إلى ما بعد

خصره ، ثم اتخذت مكانها بجوار زوجة عمها التي ما لبثت أن تبادرها بهمس هي الأخرى قائلة:

- كيف حالك يا عروسة ؟

هنا شعرت ريم بأن في الأمر شيئاً غير طبيعي خاصة أن أحداً منهم لم ينادها بالدكتوراه كما اعتادت منهم سابقاً ، وبالرغم من ذلك حاولت جاهدة أن تخفي قلقها وشاركتهم في أحاديثهم الخاصة والعامة وهي تعتمد بالإلا تلتقى نظراتها بذلك المدرس العائد من الغربية.

وبعد مرور ساعة تقريباً وقف الخال وهو يتوجه بكلماته لوالدتها قائلاً :

- تعالى دقيقة يا أم محمود .. أريدك في حديث خاص.

تبعته أم محمود إلى داخل إحدى الغرف حيث بادرها متسائلاً :

- ما رأيك في الأستاذ قنديل يا أختي !؟

أجابت مسرعة:

- شاب مثل الورد.. ويبدو عليه ابن ناس وملتعل.

ضحك الخال متهمكاً:

- قلت لك إنه مدرس إعدادى .. فكيف يكون غير متعلم يا أم محمود؟!

سألت بدهاء وكأنها تعلم ماذا يريد:

- ما هو الحديث الخاص الذى تريدنى من أجله!!

- الموضوع يخص ريم.

قالت بفرحة:

- ريم ابنتى .. تقصد إنه.

قاطعها بحماس قائلاً:

- نعم .. أنا لن أجد زوجاً مناسباً لريم ابنة أختى أفضل من الأستاذ قنديل ..و..

صمت برهة ثم استطرد:

- غنى .. ومتعلم .. ومؤدب.. ومن عائلة .. ومستعد لكل التكاليف والمصروفات وأيضاً عنده استعداد لدفع مهر كبير لبينتك.

رددت باستكانه:

- والله يا أخى الأعباء أصبحت ثقيلة على محمود وسعيد .. وأنا  
كبرت فى العمر وأمنيتى أن أطمئن عليها وهى فى منزل  
الزوجية..لكن..

ومرة ثانية يسارع مقاطعاً:

- لكن ماذا .. الله يسامحه عم فريد الذى أراد أن يرتدى عباءة  
ليست على مقاسه ، وضئع أمواله ومجهوده على فكرة سخيصة ثم  
تركهم يعانون الفقر والاحتياج.

همست باستحياء:

- الله يرحمه.. لا تجوز عليه غير الرحمة الآن.

قال بجدية:

- قيراطين الأرض ميراثك يمكنك البناء عليهم بقيمة المهر  
ويصبح عندك منزل تكملين فيه باقى حياتك فى بلدتك بدلا من  
عيشة القبور التى تعيشينها هنا .

- عندك كل الحق يا أخى .. فأنا امرأة مسنة ومريضة والمكان  
أصبح غير مضمون بعد موت زوجى .. والأولاد كبروا ومن  
حقهم الزواج وسأصبح عالة عليهم مع مرور الوقت.

قال بإنزعاج :

- والله لن يحدث أبدا .. فأنتِ أختنا الكبرى ولن أسمح بأن تتبهدلى بعد هذا العمر الطويل.. المهم اسألى ريم عن رأيها وطلباتها فهذا من حقها ، ثم حددى الميعاد لكى تحضر عائلته وتطلبها منك ومن محمود وسعيد.

قالت بامتنان:

- ربنا يخليك لى يا أختى .. ولن أنسى فضلك أبداً.

ربت على كتفها باعتزاز وهو يقول:

- ريم مثل ابنتى تماماً.

و .. رحل الجميع عن المكان بعد أن تمت المهمة التى حضروا من أجلها.

بدأت تلك الزيارة المفاجئة او المشؤومة بالنسبة لريم هى بداية لأول قطرة مرارة تتذوقها فى حلقها وأول معلومة عن معنى العذاب عندما يسقط على حين غرة فوق كيان إنسان ويحتويه بقسوة ويشل إرادته رغماً عنه .. هكذا شعرت ريم بعد ذلك الموقف ، حيث انتابها إحساس بالضياح والتشتت ، وسكنت عاجزة أمام الهجمات الكلامية الشرسة التى حاصرتها من أفراد عائلتها وكأنها لازالت تعيش حالة الوهم بأن هناك من سينوب عنها فى الدفاع أو التصدى لذلك الهجوم غير المبرر والفجائى.

وفى مساء ذات الزيارة، وجدت نفسها محاطة بالمثلث العائلى الذى تترأسه والدتها على غير المتوقع .. وبادرتها قائلة فى محاولة لإقناعها برغبة الخال :

- يا ابنتى الحال أصبح غير الحال .. وما باليد حيله .. وأبوك الله يرحمه لم يعمل حساب هذا اليوم .. ورحل فجأة وتركنا بلا مورد.

قالت بنبره مليئة بالاستعطاف:

- يا أمى أنا نجحت هذا العام ومتفوقه فى دراستى .. و .. مضى الكثير ولم يبق غير ...

ولكن محمود يتدخل وهو يكتم غيظه:

- أنتِ صدقتِ نفسك يا ريم أم ماذا .. أليس لك عينان تريان بها حقيقة ظروفنا .. انظرى لى ولأخوك سعيد ونحن حفاة طوال اليوم لدرجة أن أقدامنا تشققت من المياه المتسخة من تنظيف سيارات البهوات وسيدات المجتمع .. استيقظى من أحلامك الثقافية والمجنونة وعيشى الواقع الحقيقى.

وقبل أن تعلق على كلامه، أسرع شقيقها الآخر.. مؤيداً :

- ألا تعلمين أن رزقنا يوماً بيوم . . فمن أين سنأتى لك بكل مصاريفك .. فمن الأفضل أن تضعى عقلك فى رأسك وإلا سيكون لنا معك تصرف آخر.. و ..

وتبادلا نظرة صامئة ولكنها مثيرة، فهي تعلم جيدا أن سعيد يمتلك طاقة شريرة لطالما أزعجت والدها كثيرا طوال فترة حياته معه .

عادت الأم تردد بالإحاح:

- ما رأيك فيما نقوله لك .. يا ابنتى هذه فرصة قد لا تتعوض ، فالعريس جاهز تماما ومستعد لتلبية كل طلباتك .. وكما قال خالك هي فرصه لكى أستطيع بناء القراطين وأعود للبلد واستكمل ما تبقى من عمرى .. ألا تشفقين على مرضى !!

ومرة ثانية قبل ان ترد على أمها فوجئت بمحمود يلاحقها قائلا :

نحن نعلم أن أبائك قد زرع فى قلبك الانانية وحبك لنفسك فقط ، والدليل على ذلك أنك استحوذتِ على كل شئ ولم يكن يهمك ماذا نأكل او ماذا نلبس او أى شئ آخر .. فأنت اخذتِ حقاك من الحياه أكثر من اللازم.. و ..

تدخل سعيد فى الحديث قائلا بحزم:

- على كل حال سنمهلك أسبوعاً .. أسبوع واحد تتخذين فيه قرارك .. وبعدها سيكون لنا تصرف معك .

أجابت بشفتين مرتجفتين وتمتمت على استحياء :

- سأبحث عن وظيفه مسائية وأعاونكم.

انتفض سعيد فجأه وكأنه يتأهب لضربها .. ثم صاح صارخا :

- ما هذه البلادة التى تسيطر عليك .. أنا واخوك نريد أن نتزوج  
والمكان لم يعد يتسع لنا جميعا .. ومن الطبيعى أنك سوف  
ترحلين إلى بيت زوجك.

وبنبرة هادئة قال محمود وكأنه يحدث نفسه:

- الله أعلم .. فربما صاحب العقار لن يجدد لنا إيجار الجراج بعد  
وفاة والدنا .. وتلك مأساة اخرى.

دوت كلمات سعيد فى أذنيها كصدى البرق وهو يردد :

- أسبوع واحد يا ريم وهى المهلة التى حددناها لخالك لكى نخبره  
برأينا .. وأنت حرة فلن تلومى إلا نفسك بعد ذلك.

و .. غادر الجميع غرفتها .

تلفتت حولها وكأنها تتأكد بأنها لازالت فى حجرتها وليست كما  
شعرت فى أعماقها بأنها تهيم فى صحراء ليس لها نهاية فى ليلة  
مظلمة قد غاب عنها القمر .. لا شىء غير الخواء وحشرجة  
الخوف من المجهول .

أحست بمستقبلها وهو يتسلل متهاوياً من بين أصابع الزمن ،  
والآمال تترنح تحت وطأه غدر الليالى ، والوحدة الموحشة تمزق

أوصال نكرياتها ولا تترك لها غير رماد الحاضر الكئيب ونذير  
شؤم المستقبل.

طفرت إلى داخل مقلتيها صورة أبيها ، وفقدت قدرتها على  
التماسك وأجهشت بالبكاء فى نحيب كاد يمزق جفونها وهى تردد  
بحسرة وبنبرة مسموعة.

.. أين أنت يا أبى!؟!

وألقت برأسها فوق الوسادة وهى تواصل بكاءها وكأنها تستجديه  
لعله يعود إليها لكى يحميها من أقرب الأقربين لها .. وله.

عندما تتكالب المظالم على الإنسان ، وتتحول ضلوعة إلى قضبان من الفولاذ تخنق رنثيه وتحاصرها ، وعندما يتعمق الإحساس بالوحدة فى الوجدان ويستقوى الخوف والقهر على الأبدان ، ويموت الأمل ويرحل الأمان وتصبح الكلمات بلا معنى والأعين لا ترى غير المدامع والأحزان وتكتئب الطموحات والسعادة تهجر المكان. وعندما يتوحش الإحساس بالعجز ويغرس مخالفه فى الأعماق ليفقد الكيان هويته ويسلب من العقول تفكيرها وقدرتها على إتخاذ أى قرار .

فى هذه الحالة يجد الإنسان نفسه مضطرا لأن يبحث عن ينوب عنه لمواجهة غزوات الشر وغدر الليالى .

ولم يكن أمام ريم غير اثنين فقط يمكنها الاستعانه بهما او بأحدهما ليجبرها ويستمتع لشكواها ، فكان الأقرب هو الروائى الشهير عمرو كامل الذى يشغل الطابق الثالث فى العقار الذى تعيش فى أسفله ، وهو الوحيد الذى كان يحتل مكانة خاصة عند والدها وثقتة أيضا ، ولذلك لم يكن يمانع فى أن يطلب منها أن تداوم على مساعدة الرجل لتناول دوائه وبالاخص الحقنة الاسبوعية بالرغم من أنه يعيش بمفرده ولا تلازمه غير الشائعات الكثيرة عن علاقته النسائية المتعددة وزيجاته المتكررة التى أثمرت أن ثلاثة أبناء جميعهم رحلوا عن المكان بأسباب مختلفه فمنهم من استقل بحياته الخاصه بعد الزواج

ومنهم من هاجر إلى أوروبا ولكنهم جميعاً اشتركوا في عدم إحساسهم بالانتماء نحوه ، فكان قلمه هو الرفيق الصديق الصدوق ومؤلفاته هي أسرته الواقعية التي يأتس بوجودها حوله.

أما الثانى فهو أكرم صدقى زميل المهنة المستقبلية حيث كان فى السنة النهائية بطب الأسنان وبالرغم من تفاوت التخصص واختلاف المرحلة الدراسية إلا أنهما كانا متوائمين فى كل شىء سواء فى الأفكار أو تشابه الظروف الاجتماعية أو الطموحات والأحلام البكر الشابة . هو من اسرة متواضعة ماليا بالرغم من أن والده يعمل فى منصب وكيل إحدى الوزارات إلا انه بسبب كثرة الأبناء جعل راتبه يكاد يكفى الاحتياجات الضرورية فقط ، تلك الظروف المتشابهه جعلت من علاقتهما اشبه بعلاقة الحالم بحلمه اثناء النوم ،فهو ارتباط قوى يصل لدرجة التوحد وبالرغم من ذلك هو بعيد كل البعد عن أرض الواقع .

علاقة فريدة من نوعها ، فهما يتحاوران كثيرا ويلتقيان أكثر فى لقاءات متعددة وكلاهما يبيث للأخر أسرار مشاكله وهمومه وأحلامه وآماله .. ولكنهما يمتنعان عن غير عمد الكشف عما يشعران به فى وجدان كل منهما تجاه الآخر .

وفى ظهيرة اليوم الثانى أثناء انصرافها من باب الكلية وجدته فى انتظارها كعادته معها ، وقال مرددا بلهفة:

- أهلا يا دكتورة.

اهتزت شفقتها في محاولة لرسم ابتسامة ولكنها فشلت .. عاد متسائلا:

- ماذا بك يا دكتورة ريم .. أراك اليوم على غير عادتك.

وكانها كانت تنتظر تساؤله هذا حتى بدأت في سرد مشكلتها بلا مقدمات ودون توقف اعتمادا على أنه يعلم كل شيء عن ظروفها الاجتماعية ، وقبل أن تنتهي من حديثها إليه .لاحظت اكتئاب ملامحه وشرود نظرتة وهو ما أفسح الطريق إلى خاطر مفاجئ إلى ذهنها بأن اللحظة التي كانت تنتظرها قد حانت وسوف يفصح عما في اعماقه ومشاعره تجاهها .. فأثرت الصمت حتى تمكنه من ذلك .

وعلى غير المتوقع قال بنبرة حزينة وهو ينظر الى لا شيء :

- يجب أن نعترف بأننا أخطأنا .. وعلينا أن نتحمل نتيجة ذلك !!

همست متسائلة بنبرة منخفضة:

- أخطأنا .. كيف؟!!

لم يكثرث لتساؤلها ، وأردف قائلاً دون أن ينظر إليها:

- بدأت أشعر بالندم لأننى تخصصت فى طب الأسنان .. لم أقدر ظروفى جيداً .. طب الأسنان محتاج الى عيادة باهظة التكاليف ،

وكان بإمكانى أن أتخصص فى مجال آخر لا يعتمد على المعدات المستوردة والمكلفة أيضا.. و ..

رمقها بنظرة خاطفة.. ثم استطرد على استحياء:

- وانتِ استسلمتى لحلم أبيك .. وتعايشت مع الوهم الجميل دون أن تفكرى فى أى احتمالات أخرى .. كما حدث لك اليوم .

شعرت بجفاف حلقها وهى تحاول أن تلمم شتات أحرف الكلمات على شفتيها .. ثم قالت وهى تغوص فى دهشتها:

- لم أتوقع منك كل هذا الإحباط.

قال بعد أن تدلت ابتسامة ساخرة على طرف شفتيه:

- واقعنا هو مصدر الإحباط ولست أنا .. انظرى إلى حالى الآن فبعد أشهر قليلة سأصبح طبيباً معتمداً .. فماذا تتوقعين أن يكون مصيرى .. بكل تأكيد سأنضم لحشد الأطباء الذين يملأون المستشفيات العامة براتب لن يتجاوز بأى حال قيمة إجمالى الدخان الذى ينفثه أى ثرى من سجنائه.

قالت بحماس بعد أن تناست مشكلتها الرئيسية:

- لو فكر كل إنسان فى مقبل حياته بهذه الطريقة فلن يحقق شيئاً من أحلامه ولا ..

قاطعها وهو لا يزال متكهماً :

- كل من يريد أن يحلم ، عليه أولاً استئذان واقعه.

تساءلت بإصرار :

- منذ متى وأنت مقتنع بهذا الرأى !؟

أجاب بلا تردد:

- مشكلتك فجرت بداخلى كل المحاذير التى حاولت مراراً أن أتجاوزها .. لأسباب شخصية عندى.

وكانها تذكرت مشكلتها بالفعل .. رددت كالهمس:

- أنا لن أستسلم لظروفي القاسية.. ولن أدع الإحباط يحتوينى .

عادت الابتسامة الساخرة تظهر فوق شفثيه وهو يعلق قائلاً:

- تقولين ذلك لانك لازلتِ فى بداية الطريق .. ولم تواجهى واقعك على حقيقته ... يا دكتورة ريم اعلمى أن الصراع غير متكافئ ، بالنسبه لك أنت بشكل خاص.

راودتها رغبة شديده فى الانصراف من أمامه .. وما كادت تتحرك بخطوة إلا إنها تراجع فجأه وسألته بجرأه:

- يا ترى .. هل من حقى أن أعلم شيئاً عن الأسباب الشخصية التى حدثتني عنها منذ لحظة.

تردد برهة قبل أن يجيبها قائلاً:

- انتِ !!

- أنا !!

- نعم انتِ ... ظروفك السابقة وإصرارك على تحقيق حلمك كان يملؤنى بالأمل ويمنحني القدرة على التفاؤل .. و ..

صمت للحظة يزدرد فيها ريقه بصعوبة .. ثم أردف :

- ولكن .. ولكن بعد هذه الأحداث التي استجبت على حياتك فكانت سبباً في أن تكشف الغطاء عن صعوبة التصدي لها.

قالت وهي تشعر بخيبة التمني:

- يبدو أنني كنت حاملة أكثر من اللازم بالنسبة للأسباب الشخصية الخاصة بي.

رمقها بنظرة بلهاء تعبيراً عن عدم فهمه لمقصدها .. ثم قال دون مبالاة:

- دعينا نترك فرصة للأيام لتقول كلمتها.

- الحقيقة .. أنا جميعاً في حاجة لتلك الفرصة .. و ..

أومأت برأسها وانصرفت من أمامه في صمت .

لم يتسأل الضيق إلى صدر ريم بعد ذلك اللقاء ، بقدر ما انتابها إحساس بالرضا وهدوء النفس . وكأنها كانت تعاني من هلامية

العلاقة التي ارتبطت بها مع أكرم صدقى ، وقد حسم هذا اللقاء مضمون العلاقة أو على أقل تقدير أعفاها من مشوار آخر كانت ستقطعه على ارض الوهم والأحلام الزائفة ، وبالرغم من ذلك لم تستطع تجاوز شعورها بالتأنيب لتلك النتيجة أمام ظروفها القاهرة التي فاجأته بها مما افقده القدرة على التعامل مع الموقف بما يتناسب مع طبيعة علاقتهما.

اندست داخل السيارة الميكروباص بعد أن ألقى بالباطو الأبيض فوق كتفها كعادتها فى الذهاب والإياب من الكلية ، وكأنها تحرص على الاحتماء به دائماً بالرغم من عدم جدواه فى كثير من أيام الدراسة داخل الكلية.

لم يمض أكثر من نصف ساعة للوصول إلى منطقتها ، ولكنها قطعت فى هذه الفترة الزمنية القليلة رحلة طويلة مع تساؤلاتها الحائرة عن مصير مستقبلها الذى فقدت كل مقومات حمايته أو التخطيط له شأنها شأن كل عليل يسقط فريسة فى قبضة الداء الذى بلا دواء .

لاحظت عدم وجود أحد من أسرتها داخل الجراج وهى فى طريقها إلى غرفتها وما كادت تفتح بابها حتى تشنجت كل خلجات كيانها عندما ترمى الى مسمعها أصوات هامسة من الداخل .. حاولت أن تدفع الباب ولكنها فشلت حيث كان مغلقاً على غير العادة ، فلا أحد يمكنه استغلال غرفتها حسب تعليمات والدها طوال حياته.

تلفتت حولها فى ذهول لعدة لحظات ، ثم بدأت تطرق الباب بعنف وهى تردد صائحة:

- من بالداخل.. من بالداخل.

وجاءها صوت سعيد ناهراً ومنفرداً أيضاً:

- ما الذى أتى بك مبكراً .. اذهبى الآن والإ خرجت إليك لأحطم ضلوعك.

صرخت:

- ماذا تفعل .. ومن معك!؟

- قلت لك اذهبى الآن .. ادخلى غرفة أمك.

هاجمت القشعريره جسدها وكأنها أصيبت بالمalaria فجأه وأصبحت عاجزة حتى عن الكلام والحركة .. عادت تتلفت بلا تركيز بعد أن خارت قواها الذهنية.. وبصعوبه بالغه تراجعت بخطواتها فى اتجاه نهاية الممر حيث توجد باقى الغرف.

وفى الداخل لم تجد والدتها ، ولاحظت وجود شقيقها الأكبر محمود وهو يغط فى نوم عميق كعادته صباحاً حيث كانت مسئوليته هى الوردية الليلية لحراسة الجراج.

أيقظته بانفعال وهى تصيح:

- أين أمى يا محمود؟!

أجاب وهو يتنأب:

- أمك أوصلتها منذ ساعتين الى موقف سيارات الاجرة لتسافر الى البلد فى زيارة لخالك .

عادت تقول بثورتها:

- ماذا يفعل سعيد فى غرفتى؟!

اعتدل قليلاً فى جلسته ثم تساءل بفتور:

- وماذا يفعل سعيد فى غرفتك؟!

- انهض لترى بنفسك.

فوجئاً وهما متجهان الى غرفتها بانصراف سعيد برفقة فتاة صغيرة يعرفانها جيداً حيث تعمل فى إحدى شقق العقار ، وبلا إرادته اندفعت ريم مسرعة نحوه وهى تصرخ بصورة هستيرية تكيل له السباب والتوبيخ على فعلته ، بينما أسرعت الفتاة هاربة إلى خارج الجراج ، فى الوقت الذى تأهب أخوها الشرس لمواجهة ذلك الموقف المخزى مستعينا بلامح الغضب والثورة على وجهه كأمى مكابر دفاعاً عن خطيئته.

بادره محمود بعد أن استوعب المفاجأه :

- كيف تقدم على هذا الفعل يا سعيد!!

أجابه وهو ينظر اليها شذراً:

- ليس من حق أحد التدخل فى حياتى.

لاحقته وهى فى أشد غيظها :

- انت سافل وقاسد .. و ..

ولم تستطع ان تكمل كلماتها بعد أن فاجأها سعيد بالتهجم عليها وصفعها بقوه على وجهها ، فترنحت على إثرها من شدة الصفعة وسقطت على الأرض بالرغم من محاولة محمود الفاشلة لإنقاذها.

وكالثور الجريح الهائج استدار سعيد الى داخل غرفتها وراح بكل حماقة وجهل يمزق كتبها ومراجعها وهو فى حالة أشبه بالجنون ويلقى بالاوراق الممزقه إلى الخارج وهو يصرخ مردداً:

- لقد أفسدتك تلك الكتب وجعلتك لا تحترمين أخاك الاكبر .

و .. توالى سقوطها على الأرض مع كل محاولة لمنعه من تمزيق كتبها وهو فى كل مرة يدفعها ويلكمها بشراسة بلا وعى ، إلى ان سقطت ولم تستطع النهوض مرة أخرى بعد ان أعياها الضرب المبرح.

ومره ثانية يتدخل محمود صائحا:

- ما الذى فعلته يا مجنون!!

أجابه وهو يلهث كالذئب:

- قلت لك إن هذه الكتب قد افسدتها.

فوجئت ريم وهى طريحة الأرض بأخيها الأكبر يقول معاتبا:

- الكتب ليست مهمة .. ولكن كيف تضربها يا أرعن؟!!

فى هذه الأثناء دارت الدنيا فى رأس وعين ريم بعدما تأكدت بأن مستقبلها قد تم إجهاضه بمعول الجهل والحقد .. والغباء .

وفى لحظه رأفه غير مقنعه ، طلب محمود من أخيه أن يعاونه فى حملها لكى يضعها فوق فراشها داخل الغرفة ، وتركها منصرفين وهى فاقدة القدرة ولكنها ليست غائبة الوعى .

دارت بنظرها ترصد الأوراق الممزقة والمتناثرة فى أرجاء الغرفة وأحست بأنها تستصرخها بلا جدوى .. فكنتاهما بلا مغيث.

فى اللحظات الأخيرة من رحيل شمس اليوم الثانى ، كانت الأمطار تهطل بغزارة وهى تحمل ذرات ثلجية مدببة كأسنة الريح تترشق على الوجوه والجدران وسطح الأرض وكل كائن يفشل فى محاولته لأن يتفادى تلامطها.

تسللت ريم مسرعة من غرفتها إلى الطريق العام وهى تخفى وجهها من شدة الرياح وأندلفت إلى داخل باب العقار الذى يقبع أسفل الجراج ، دون أن تدرى هل كانت تخفى وجهها خشية الأمطار الثلجية أم تجنباً من أن يراها أحد وهى تصعد إلى الطابق الثالث حيث يقيم الروائى عمرو كامل بمفرده.

ويبد مبتلة ومرتجة طرقت بابه بطرقات مترددة .. وبعد ثوان كالدهر ظهر عمرو كامل وهو متأنق كعادته حيث كان متأهباً دائماً لاستقبال زائرى السهرات الليلية المقربين .. والمغرمين أيضاً.

استقبلها ببشاشة قائلاً :

- دكتورة ريم .. أهلاً بك .. تفضلى يا ملاك الرحمة.

دخلت على استحياء ، فهى المرة الأولى التى تأتى إليه بمفردها دون متابعة والدها وأيضاً فى هذا التوقيت المتأخر من نهاية اليوم .

ولم يكن عسيراً عليه أن يدرك سبب توترها وما يدور في أعماقها من انفعالات ورهبة .. وبأدائها مازحاً ومعاتباً:

- أهكذا تتركين مريضك يتألم وحده دون أن تتقديه بالدواء؟

حاولت أن تبتسم ولكن شفثتها ارتعشت فقط وهي صامته .. فأردف:

- أتعلمين أنه منذ رحيل والدك رحمة الله عليه .. لم أسمح لأحد غيرك أن يداويني بالحقنة.

قالت بصعوبة وبنبرة خافتة:

- أنا آسفة.

أشار إليها بالجلوس في أحد أركان صالونه الفاخر ، وازداد توترها عندما لاحظت تواجد بعض زجاجات الخمر والمأكولات الجافة فوق المائدة التي تتوسط الصالون وأيضاً الاضاءة الخافتة ألجمت لسانها وتفكيرها واكتقت بإسقاط نظرتها في اتجاه الأرض دون أن تنبس بحرف واحد.

تأملها لعدة لحظات ثم قال وهو يشعل سيجارته:

- ماذا بك يا ريم!؟

رفعت رأسها ليفاجأ بعينيهما وقد اعزورقت بالدموع الحبيسة .. ثم همهمت بنبرة متحشجة:

- أنا فى حاجة إلى مشورتك يا أستاذ عمرو.

قال بلا تردد:

- أخبرينى بما عندك .. ولا تخفى شيئاً.

ومن خلال دقائق مشحونة بالشجن والحسرة ، راحت تسرد عليه التطورات الجديده التى طرأت على حياتها ، وأفصحت عن عجزها التام أمام ذلك الموقف وكأنها تلقى بكل همومها بين راحتيه .. و .. سكتت فجأه وهى تترقب حركة شفثيه فى انتظار قراره أو إقرار مصيرها.

عمرو كامل فى الخامسة والخمسين من عمره ، ساعده تكوينه الجسمانى الفارع وملامحه المريحة وهدوء طباعه وعيناه المتأملتان وصوته الرخيم فأصبح يمتلك كل مقومات الهيبة والوقار الذى يفرضه على الآخرين دون تعمد ، واستطاع بخبراته الاجتماعيه الطويلة وعلاقاته المتعدده وموهبته الابداعيه أن يتعامل بحنكة وواقعيه مع أموره الحياتيه سواء مع أبنائه الثلاثة اللامنتمين إليه أو مع وحدته وكذلك مناورات الأقدار معه.

تلاأت ابتسامه رائعة فوق شفثيه ، وقال على غير المتوقع :

- وما الجديد فى هذا يا ريم !؟

رمقته بنظرة مندهشة وظلت على صمتها .. وعاد مستطرداً:

- اتعلمين بأن لا أحد من أبنائي قرأ لى رواية واحدة بالرغم من كل هذه الإصدارات التى نشرتها!!

قالت بعفوية متسائلة:

- كيف .. فأنا قد ....

ولكنه قاطعها دون قصد وأردف:

- وهل تعلمين أيضاً أنهم كالغرباء فى علاقاتهم بعضهم ببعض ولا شىء سوف يجمعهم معا إلا إعلام الوراثه من بعدى !!

أجابت بإصرار وصدق:

- أنا قرأت كل رواياتك .

تسلل إلى صدره إحساس قوى بالتعاطف معها إزاء براءتها ونقائها.

ثم قال وقد انفرجت أسارير وجهه :

- أشكرك على اهتمامك.

اشتعلت وجنتاها خجلا بعد أن راودها شعور بأنها ربما تكون قد أخطأت فى التعبير عما تقصده .. وقالت بعفوية:

- أنا أسفه .. ولكنى فقط أتعجب من موقف أبناء حضرتك.

افتترشت ملامح الجدية وجهه وهو يقول:

- أنا تعمدت أن أحدثك عن أبنائي حتى أوضح لك بعض خصائص النفس البشرية اذا ما أتاحت الظروف أمامها لكي تكشف عن خصالها .. فالتميز أو الثراء أو الشهرة والمكانة العلمية أو الرضا والقبول أو النجاح بكل أشكاله من الطبيعي أن يثير أغوار نفوس الآخرين ويتلقائية ودون تعمد تطفر على ساحة العلاقات الاجتماعية بين الجميع بعض المشاعر الكامنه فى الأعماق كالغيرة والحسد والتمرد والتذمر من الواقع والسخط عليه وكلها اسلحة معنوية فتاكة لا تدمر إلا اصحابها ، ولذلك لا سبيل لمواجهتها إلا بالحب والتسامح والرضا وتقدير ظروف الآخرين .

و .. أشار إليها باصبعه وهو يؤكد قائلاً:

- وهذا بالضبط ما أطلبك بأن تعليه مع أخويك .. فهما لديهما بعض الحق فيما يفعلانه .. والدك عم فريد سخر كل إمكاناته ومشاعره من أجل تحقيق حلم حياته بأن تصبحى دكتورة .. ولكنه لم ينتبه بأنه قد ترك لك ميراثاً مريراً من الغضب والحنق عليك.

فى هذه الآونه لم تستطع ريم التحكم فى انهيار الدمع من عينيها وهى لا تدري إن كانت مدامعها من اجل إحساسها بالخوف من الغد أم شوقاً وحسرة على فراق أبيها.

عاد فى محاوله لتهدئتها قائلاً:

- أرجو أن تتأكدى بأننى لن أتركك بمفردك أبداً .. وسأسانداك بكل طاقتى فى أى قرار تتخذه .. ولكن بشرط .. و ..

واتسعت عيناها وتأملته باهتمام شديد .. ثم همست بسرعة :

- أى شرط .. أنا موافقة دون أن أعرفه!!

أجاب بهدوء:

- شرطى أن تكونى مقتنعة بأى قرار تتخذه دون أى ضغوط عليك .

سيطر الغموض عليها مما جعلها تكرر تسأولها من جديد:

- عن أى قرار حضرتك تقصد؟!

نهض من مكانه واستدار ليوقف فى مواجهتها على بعد عدة خطوات ، وكأنه يتأهب لإلقاء خطاب رسمى .. ثم قال بجديّة:

- أنتِ تملكين مقومات كبيرة لا تتوافر فى فتيات كثيرات مثلك .. فأنتِ جميلة بل غاية فى الجمال ، وإذا أردتِ الثراء والحياة الرغدة فيمكنك الحصول عليها فوراً .. بل الآن ..و..

صمت لبرهة وهو يدقق إليها النظر .. ثم عاد مستطرداً:

- والخيار الثانى أن تتخذى قرار التحدى وتعلنين مقاومتك للواقع مهما كان المقابل من بعض الشقاء والعناء .. فأنا بإمكانى أن أوفر لك عملاً مناسباً يتيح لك فرصة الاستمرار فى دراستك ولكنك بلا شك ستواجهين رحلة شاقة من الصعب التكهن بنتائجها .. والأمر فى النهاية لك يا عروسة النيل.

فجأة دوى رنين جرس الباب بشكل متصل مع عدة طرقات متوالية وكادت نبضات قلب ريم أن تتوقف هلعاً دون أن تدرى سبباً لذلك .. واتجه عمرو كامل بخطى مسرعة وفتح الباب لتندفع الى الداخل مجموعة من اصدقائه المتباينين فى الأعمار والمهن والأشكال ما بين رجال وشباب وفتيات صغيرات وفتنات معروفات .. الجميع راح يطلق تعليقاته المازحة والساخرة ، والبعض انقض على المشروبات الروحية والمشهيات:

.. الأديب فى جلسة خاصة مع ملهمته.

.. من أجل هذا لم تهتم بالرد على اتصالاتنا.

.. عنده حق .. فهو جالس مع فينوس الجمال.

ويعلق آخر :

.. بل هى موناليزا الحقيقية.

وثالث يقول:

.. إنها عروس من السماء .

وبخبث قالت الفنانة الشهيرة:

..إنها رواية جديدة يا أستاذ عمرو.

بينما سكن هو فى مكانه صامتا يستقبل تعليقاتهم بابتسامة تارة وبامتعاض تارة أخرى ، وريم شعرت وكأنها قد أصيبت بشلل مفاجئ أفقدها القدرة على التحرك من مكانها أو مشاركتهم بابتسامة على الأقل.

ومن خلال الأجساد المتزاحمة شق أحدهم طريقه نحوها وتوقف أمامها قائلاً:

- أنا فتحى العقبى .. أسمعيني عنى؟!!!

وهنا صاح عمرو كامل ضاحكاً:

- اجلسوا أولاً فى أماكنكم ..وسأولى مهمة التعارف بينكم .. و ..

التفت نحو ريم مستطرداً :

- يا أنسة ريم .. هذا أولاً الأستاذ فتحى العقبى الناقد الفنى المعروف ومكتشف أغلب نجوم مصر .. و ..

وراح بعد ذلك يشير إلى كل فرد فى المجموعة على حدة ويخبرها بصفته أو بصفتها.

ثم جاء بمقعد صغير وجلس بجوارها وكأنه يحميها من ذلك الهجوم الذى باغتها .. و .. همس إليها بود قائلاً:

- لا تنزعجى فهم يمازحونك .. وستصبحين من ضمن المجموعة بعد عدة لحظات .

لم تستطع ريم أن تخرج نفسها من عباءة الذهول التى أحاطت بكيانها كله ، فهى المرة الأولى التى تتواجد فى وسط واقع حقيقى لم تر مثله إلا فوق شاشات السينما الفضية .. رأت نساء نصف عاريات وفتيات صغيرات يتلفظن بألفاظ لا تחדش الحياء فقط بل تدمره .. ورائحة العطور التى تחדر الأعصاب ، وضباب السجائر الذى أضاف إلى الغموض غيوماً كثيفة .. وضحكات مائعة ، وكؤوس تدور ورؤوس تترنج .. و .. رأت أيضاً التناقض المذهل فى شخصية عمرو كامل الذى تحول إلى طفل عابث وشاب متهور وعرييد ثائر وصائد نساء فاجر ، وجدته فى صورته مختلفه تماماً وكأنه يقبض على شخصيتين يستعين بكل منهما على حدة حسب موقعة من الأحداث .

انتبهت إلى صوت فتحى العقبى الذى بادرها بالحديث قائلاً بإصرار :

- سأجعل منك فاتنة الشاشة العربية .. و ..

أدارت رأسها تجاه عمرو كامل عندما تدخل فى الحديث مؤكداً :

- لا تفتقى بالنسبة لمحمود أو سعيد .. فأنا كفيل بإقناعهما فى  
الحالتين أو الاختيارين كما اتفقنا .

عاد الناقد الفنى يلح عليها بجديفة:

- بمجرد موافقتك سأضمن لك فوراً بطولة فيلم سينمائى مع  
أشهر مخرج فى مصر .. و ..

التفت نحو عمرو مستطرداً:

- وأشهر كاتب أيضاً.

ثم عاد موجهها كلماته إليها :

- أتحبين الفن يا آنسه ريم ؟

وجدت نفسها مضطرة للإجابة عندما سيطر الصمت فجأه  
ولاحظت الجميع ينتظرون حركة شفيتها .. فقالت بثقة:

- الفن شىء جميل وراقى أيضاً.

لاحقها مسرعاً:

- ليس هذا فقط .. ولكنه الشهرة والثراء والتميز بين الآخرين.

قالت بجرأة:

- النجاح فى أى شىء يضمن التميز.

صاحت واحدة منهن:

- لا يا حبيبتي .. التميز يحتاج الى قدرات خاصة .. و ..

اشترك الجميع في الضحك ، باستثناء عمرو كامل الذى ركز نظرتة نحو ريم بتأمل شديد وكأنه يراها لأول مرة.

وفى أول فرصة انشغل فيها الحاضرون بأحاديث جانبية تخصهم، حتى نهضت ريم فجأه مستأذنة من الآخرين وهى تقول:

- أسمح لى بكلمة على انفراد يا أستاذ عمرو !!

أسرع يفسح لها الطريق إلى الاتجاه الآخر بعيدا عن الحضور، ثم توقف أمامها متسائلاً بحماس:

- اطلبى ما تشائين يا ريم .

تلاًها وجهها تحت الإضاءة الخافتة وهى ترفع رأسها لتتأمل إليه قائلة بهدوء :

- لقد وعدتني بأنك ستتولى أمر محمود وسعيد.

قال بصدق :

- طبعاً .. ولكن انتظرى حتى أنسق بينك وبين الأستاذ فتحى العقبى .. و ..

قاطعته مسرعة وتساءلت بعفوية:

- لماذا ؟ .. فأنا اخترت الاختيار الثانى ولن أستسلم لأية صعوبات .. ولكن أرجوك أن تساعدنى فى ايجاد وظيفة مناسبة لى .. فأمى عادت إلى بلدتها .. ولم يعد لى مكان بين أشقائى.

تراجع بنصف خطوة وكأنه يتفادى لكمة مفاجئه هذا الاختيار غير المتوقع منها، ثم سرعان ما استعاد توازنه وقال بود شديد :

- انتِ جديرة بكل الاحترام يا ريم .. وثقى بأئنى سوف اساندك إلى النهاية .. وأعدك بذلك يا ابنة عم فريد .

ظفرت ابتسامة خفيفة فوق شفثيه ولكنها تحمل الكثير من المعانى.

وشاركته بابتسامة رقيقة وهى تمد له يدها لتصافحه .. وقالت :

- وأنا أيضاً اعدك بأئنى سوف أكون عند حسن ظنك .. وظنه .

و.. أسرعت منصرفه.

الأمل مثل الحب ، كلاهما فى حاجة إلى مقومات تسانده لضمان استمراره .

فإذا كان الحب لا يمكن أن يدوم إلا بالاستقرار الوجدانى والمالى والنفسى ، فالأمل أيضا يمكنه أن يتحول من مجرد حلم من أحلام الكرى الى واقع حقيقى يقود ويحقق الأمنى عندما تتوفر له المساندة الصادقة والمناخ النقى البعيد عن ملوثات المقايضة أو استثمار الظروف .

وعمره كامل لم يلجأ لأسلوب المقايضة مع ريم ولم يحاول استغلال موقفها العاجز والضعيف لصالحه ، بل سارع بكل حماس لمعاونتها اعتمادا على علاقته القوية ، واستطاع فى خلال يومين أن يضمن لها وظيفة فى أحد المستشفيات الخاصة التى يملكها واحد من اصدقائه حيث وفر لها الإقامة أيضا بالمستشفى وفترة عمل مسائيه حتى تتمكن من مواصلة دراستها وحضور محاضراتها الصباحية بانتظام .

أحكمت ريم قبضتها على تلك الفرصة وتعاملت معها كراهبة فى محراب العلم واستطاعت بعزيمتها الفولانية أن تتخلص من أية إحيابات او منغصات تعترض طريقها أثناء العمل ، واكتفت بسويغات قليلة من النوم لكى تتمكن من التنسيق بين عملها ودراستها ، كما استطاعت بفطرتها وتلقائيتها أن تستقطب

صداقات وعلاقات فى إطار عملها ، ولنفس الأسباب واجهت عداءات وغيره من بعض العاملات سواء من الطاقم الطبى أو الممرضات باستثناء سامية لطفى نائبة رئيسة طاقم التمريض التى سعت بإصرار إلى التقرب منها كلما أتاحت لها ظروف موعد الوردية الخاصة بها وتوطدت العلاقة بينهما حتى طالت الأمور الشخصية.

كانت سامية لطفى ضحوة الطباع وبشوشة الوجه ومتصالحة مع نفسها لأبعد درجة ، وكثيرا ما كانت تردد أمامها قائلة:

.. أنا أتعامل بواقعية مع ظروفى ولا أشغل بالى بمسألة تحدى الواقع .

وربما كان ذلك هو الخلاف الأوحى بين طبيعتيهما ، وكان أكثر ما يؤثر فى حميمية تلك العلاقة هو إصرار سامية على إتاحة الفرصة لريم لأخذ قسط أوفر من الراحة أثناء العمل بأن تتولى مهامها فى نهاية الفترة الليلية واقتراب بزوغ الفجر حتى لا يلحظ أحد من العاملين ذلك ، وكان من الطبيعى أن تتعمق جذور الثقة بينهما مما جعل ريم لا تشعر بأى حرج بأن تبوح لها بكل أسرارها وتحدثها عن تفاصيل ظروفها العامة والعائلية إلى أنه استقر بها المطاف بالعمل فى المستشفى .

وعلى طريقتهما المرححة استقبلت سامية حديث الذكريات بينهما .. وقالت بود :

- انتِ تَمييزين بالجرأة والشجاعة يا ريم ، و بالرغم من نحافتك ورشافتك قررتِ الدخول في صراع مع الواقع بكل تحد .. أما أنا يا عزيزتى فعندى من البدانة ما يكفى لتحمل الصعاب ولكنى آثرت التفاوض مع واقعى .. أو بالأصح الاستسلام له.

تساءلت بطيبة قائلة :

- ما دخل البدانة أو الرشاقة في موضوعنا !!

أجابت ضاحكة:

- أقصد أنك لا تتحملين لكمة واحدة من لطمات غدر الأيام .. أما أنا فباستطاعتى أن ألقى بجسدى فوق المشاكل وأكتم أنفاسها وأشل حركتها أيضا .

قالت ببراعة :

- وهل أنت أيضا لديك مشاكل تورقك !؟

حاولت أن تكون جادة وهى تجيب قائلة:

- يا جيبيتى ما يكسو عظامى ليس لحما او شحماً كما تتخيلين .. بل هو انتفاخ من كثرة الهموم .. و ..

راحت تسرد عليها قصتها مع ظروفها ، وكيف قبرت أحلامها وطموحاتها بأن تصبح يوما مهندسة ديكور لما تملكه من موهبة فنية كانت ستضعها ضمن القمم فى ذلك المجال ، ولكن ظروف

اسرتها المالية المتواضعة جعلتها تقرر الالتحاق بمعهد التمريض لكي تختصر الطريق دون مكابرة .. و ..

فاجأتها قائلة على غير المتوقع :

- على الأقل أنتِ وجدتِ من يسانئك لتحقيق حلمك .. أما أنا فليس لدى غير خطيبي المحاسب المسكين مثلي .. فكلانا يمثل للآخر عكازاً يستند عليه .. خمس سنوات يا عزيزتي أنا وهو نضع الجنيه فوق الجنيه حتى نتمكن من الحصول على منزل يؤويننا .

وعادت تطلق ضحكاتهما المقهقهة وهي تردد قائلة :

- ولا مانع أن تكون العملة ديناراً أو دولاراً .. المهم فى النهاية أننا متفاهمان على كل شيء .

ومره ثانية تخرج عن الموضوع وكأنها جملة اعتراضية وأردفت :

- اتعلمين يا ريم أننى أتحصل من مجموع دخلى الشهرى أكبر من أى طبيب أو طبيبة هنا ممن هم فى مثل أعمارنا .

ابتسمت ريم دون أن تعقب .. واستمرت سامية فى حديثها المرح قائلة :

- إنها مسأله مقايضة عادلة .. فمن يرد الشهادة والأبهة عليه تحمل متطلبات المهنة .. أما أمثالى فلا غضاضة من قبول

الهدايا من المرضى وأيضا البقشيش أو التبس كما يدلونه بالإنجليزية .

و .. فجأة تبدل الحال عندما تم استدعاؤها لدخول حالة حرجة إلى المستشفى حيث دخلت طفلة إلى غرفة العمليات نتيجة إصابتها بنزيف حاد إثر سقوطها من الطابق الثاني .. وعند نهاية الممر المؤدى إلى غرفة العمليات لاحظت ريم تجمع بعض من أفراد عائلة الطفلة وهم فى حوار متوتر مع مسؤولى المستشفى عندما طالبوهم بشراء كيس الدم من البنوك الخارجية لعدم توفره بالمستشفى .. راقبت ريم الحوار الدائر بين احدهم الذى بدا فى غاية التوتر وبين الطبيب :

- كيف لا يوجد بمستشفى استئمارى كهذا أكياس من الدم !؟

أجابه الآخر:

- أنا لم أقل أنه لم يوجد .. بل قلت فصيلة الدم غير موجودة الآن.

همس وكأنه يحدث نفسه:

- ستموت إذن!!!

وبلا تردد اندفعت ريم الى داخل غرفة العمليات وأخبرت الطبيب الجراح بأن فصيلة دمها تسمح بأن تعطى لكل الفصائل ، ولم تدع له فرصة حتى للتفكير واستلقت بجوار الطفلة استعداداً لمنح الدماء إلى جسد الطفلة الهزيل .

نصف ساعة .. أشبه بنصف قرن ، والوقت يمر بتناقل مرير وعائلة الطفلة يبتهلون إلى الله بالدعاء لها بالنجاه ، بينما لا يزال بعضهم يتساءل فى همس بأن سوء إدارة المستشفى بل أغلب المستشفيات التى يقال عنها استثمارية التى لا يحتكم فئة من أصحابها إلى الضمير الإنسانى فى مثل هذه الحالات الحرجة حيث قانون المال هو الهدف بعيدا عن أى شخص آخر.

وظهرت ريم مرة ثانية وعلى شفثيها ابتسامتها الهادئة الرقراقة وهى تردد قائلة لتطمئنهم :

- ما اسم الطفلة الجميلة!؟

أجاب الذى يقف خلفها بصوت خافت:

- ريم .

التفتت إليه بسرعة .. وقالت:

- نعم .

والتفت نظرتها بعينيه المرهقتين ، ومضت لحظات صمت بينهما كانت كافية لأن يتم التعارف بين ملامحهما وسط باقى المجموعة .. وعادت تكرر قائلة:

- نعم .. حضرتك ناديتنى !!

قال بهدوء:

- بل أجبك على تساؤلك .. فاسم الطفله ريم .

لم تدر فى حينها سببا لاندفاع الدماء إلى وجنتيها ، إن كان خجلا أم سعادة ، وهو فى الحقيقة إحساس غامض شق طريقه إلى وجدانها بدون إرادتها .. فاستدارت موجهة كلماتها للجميع وهى تتوسطهم قائلة:

- هى بخير والحمد لله .. فقط مجرد دقائق ويمكنكم رؤيتها لتطمئنوا عليها جميعا .

اقتربت منها إمرأه شابة وقالت فى لهفة:

- هل ابنتى بخير حقاً؟!!

جاوبتها بابتسامة وهى تؤكد:

- نعم بخير.. وأرجوك لا تقلقى .

و .. تحركت منصرفه ولم تستطع أن تخفى محاولتها للنظر إلى الرجل الذى ظنت أنه يناديها ، بينما استسلم هو إلى لحظات تأملها وظل يتابعها بنظرة إلى أن اختفت عند نهاية الممر.

تعاشيت ريم وهى فى غرفتها مع مشاعر ناعمة ومتباينة تسالت إلى أعماقها بهدوء وهى تقلب صفحات أحد المراجع الطبية الخاصة بدراستها ، مشاعر تنبض بالسعادة والرضا والارتياح ، وتفرض أيضا صورة الشاب الذى كان برفقة الطفلة ..

ولم تستطع أن تحدد سبباً مباشراً لتلك الأحاسيس المبهجة إلا من خلال رضاها عن موقفها عندما تبرعت للطفلة بدمائها دون أدنى تردد حيث لم تفارقها أثناء ذلك صورة والدها وكأنه يشهد على نقاء سريرتها وصفاء قلبها وتمسكها بالقيم النبيلة التي غرسها في أعماقها بصورة غير مباشرة ، فتعلمت منه أن أسمى معنى للعطاء هو الذى يكون دون انتظار للمقابل ، كما تعلمت من رحلته الطويلة أن الأهداف النبيلة تستحق المعاناة والتحدى والصبر من أجل تحقيقها .

و .. فى ظهيرة اليوم التالى وأثناء انصرافها من الكلية بعد انتهاء المحاضرة فوجئت بما لم يكن فى حسابها نهائيا وكأنها تعيش لحظات مع إرهابات أحلام داعبت خيالها أثناء نومها .. وجدت نفسها وجها لوجه أمام الرجل الذى ردد اسمها دون سابق معرفة بالأمس وما إن اقترب منها حتى بادرها بشيء من الارتباك قائلا:

- آنسة ريم .. يجب أن أعترف أولا بأن هذا اللقاء ليس مصادفة .. ولكنى اضطررت للإقدام عليه نظرا لظروف خاصة بى .

وقفت تتابعه بصمت دون أن تحرك شفتيها ، مما شجعه لأن يواصل مستطرداً:

- فقط جئت لكى أكرر إليك شكرى وامتنانى لموقفك النبيل بالأمس

وبصعوبة مصحوبة بابتسامة حائرة .. قالت:

- ولكن كيف عرفت أننى هنا !!؟

أجاب بتودد:

- زميلتك الظريفة سامية لطفى أخبرتنى بمكانك عندما شرحت لها ظروفى القاهره وإصرارى على مقابلتك .

احتفظت بابتسامتها وهى تتساءل بعطف:

- وكيف حال ابنتك ريم ؟

أجاب مسرعا وكأنه ينفى اتهامها عن نفسه:

- لا .. إنها ليست إبنتى .. ريم هى ابنة شقيقتى التى اتصلت بى بعد الحادثة .

مضت لحظات بينهما وكأنهما تركا الأمر لحوار الصمت المتبادل بين مقلتيهما .. ثم عاد قائلا بعد أن تنبه لشيء ما :

- أنا أحمد فهمى .. أعمل مهندسا للبترول فى الخليج وحضرت فى إجازة سريعة لاستكمال إجراءات شقة لى .. ومضطر للعودة غدا لإنهاء تعاقدى هناك بعد أن أنهكتنى الغربة ولم أعد أحتمل الاستمرار فيها .. و.. ازدد ريقه فى محاوله لإخفاء ارتبائه .. ثم أردف قائلا:

- ولذلك أصررت على لقائك اليوم لكي أعبر لك عن شكرى وإعجابى بموقفك النبيل الذى اخبرتنى به آنسة سامية .

أجابت على استحياء:

- أنا لم أفعل شيئاً .. فهذا واجبى والمفترض أن أقوم به .

اتسعت ابتسامته وهو يقول باتزان:

- أنا أيضا أشعر بالارتياح الكبير لأننى أديت واجبى نحو رغبة ملحة لكى أراك اليوم.

لم تعلق .. وكأنها لم تزل تعيش حلم اليقظة الذى لازمها منذ أن رآته بالأمس .. إحساس ما سيطر على وجدانها اختلطت فيه معانى الانبهار والاعجاب والقلق من المجهول ، ولكنه فى النهاية يمنحها شعوراً بالارتياح وهو يقف أمامها .

تنهت إليه وهو يقول بتأدب :

- ترى هل أطمع فى قبولك طلبى لكى أوصلك بسيارتى لأى مكان ترغبين فيه!!

أجابت بلا تردد وهى تنظر إلى ساعة يدها :

- ما زال أمامى ساعتان على موعد الوردية بالمستشفى .

ابتهجت ملامحه وهو يلاحقها قائلاً بجرأة :

- طموحي لن يتجاوز حدوده مع الزمن .. ساعة واحدة تكفيني  
وأنا برفقتك في أى مكان تفضيلينه .

تلاأت ابتسامتها الرقيقة وهى تقول :

- أنت القائد وسأترك لك الأمر.

بدأت سعادته واضحة وهو يجلسها بجواره داخل سيارته الفارهة  
، بينما راحت هى تختلس النظر إليه بين الاونة والأخرى ،  
وكانها ترغب فى الاحتفاظ بلامحه عن قرب فى أعماق  
ذاكرتها .

كان أحمد فهمى فارح القامة ، له شعر كثيف بلون الفجر وعينان  
ثاقبتان أضافا للامحه المزيد من الوقار والرهبه وبنبرة صوته  
الهادئة توحى بالثقة والاعتزاز بنفسه .

فى النهايه استقر بها الأمر داخل إحدى العوامات الراسية بجوار  
شاطئ النيل وهو يواصل حديثه عن حياته الخاصة بتلقائية وكأنه  
يرغب بحق فى أن يتخلص من كل ذكرياته ويضعها بين يديها  
.. أخبرها عن علاقته بشقيقته الوحيده التى انفصلت عن زوجها  
منذ فترة ، وعن صدمته فى الانسانه التى دمرت خطوبتهما بعد  
الحادثه التى تعرض لها بسيارته السابقه ونتج عن ذلك بقاؤه ستة  
أشهر بالفراش .. و ..

بدون أن تدرى قاطعته بلهفة قائلة :

- لا أفهم .. كيف أنهت هي الحب بينكما بسبب الحادث؟!

تدلّت ابتسامة خفيفة على طرف شفّتيه قبل أن يقول :

- لم أقل حبا .. إنما ذكرت لك أنها مجرد خطوبة .. ويبدو أنها  
تصورت أنني سأظل قعيدا واختارت أن تتخلى عني في هذا  
التوقيت .

و .. عاد يسترسل كيف قرر بعد ذلك أن يغترب بعدما شعر بأن  
غربة الوجدان أكثر مرارة من غربة المكان.

ثم فاجأها متسائلا بحذر :

- وانتِ .. ألا تحديّنيني عن نفسك .. وأرجو ألا تعتبرى ذلك  
تطفلا منى .

سرت في كيانها قشعريرة الارتباك لعدة لحظات ، وكأنها  
اكتشفت فجأة بأنها مطالبة بأن تتحدث عن نفسها .. أو تكشف  
عن أسرارها الخاصة وسرعان ما استعادت توازنها النفسى  
وراحت هي الأخرى تخبره عن طموحاتها وعن علاقتها  
الوهمية مع أكرم صدقى الذى كشف عن عدم قدرته على تحمل  
المسؤولية دون أن يدري.

لم يرغب أحمد فهمى في إقحام نفسه وتساؤلاته عن تفاصيل  
حياتها خوفاً من نفورها منه إذا لم تكن ترغب في ذلك ، وظل

صامتاً وهو يتأمل وجهها الملائكى إلى أن أوقفت حديثها .. فقال  
وكأنه يحدث نفسه :

- يبدو أن ظروفنا متشابهة .. أليس كذلك؟!!

قالت بنبرة هادئة :

- أجمل ما فى النفس البشرية قدرتها على النسيان .

علق مازحاً:

- أنا شخصياً لا أربم مطلقاً فى أن أنسى هذا اللقاء .

اندفعت حمرة الخجل إلى وجنتيها لجرأته غير المتوقعة ..  
وهممت بصوت منخفض:

- ليس كل ما فى حياة الإنسان يستحق النسيان .. و ..

نظرت إلى ساعة يدها وأردفت:

- لقد مر الوقت سريعاً .. والساعة انتهت .

قال وهو ينهض معها فى اتجاه السيارة:

- أرايت كيف يكون الزمن قاسياً وبخيلاً فى بعض الأحيان!!

قالت وهى تتدلف داخل السيارة:

- هل ستعود قريباً؟!!

أجاب بسرعة:

- أنا أفكر فى العودة من الآن.

واشتركا فى ابتسامة رائعة تحمل الكثير من المعانى .

وفى الطريق سيطر الصمت عليهما دون أن يجدا مبرراً لذلك ،  
وكان كليهما يتساءل مع ذاته عما يخبئه القدر لهما بعد هذا اللقاء  
المثير .. لقاء الغرباء .

وأمام المستشفى أوقف محرك سيارته وبادرها بعفوية :

- لم تعطينى رقم موبايلك .

رددت منزعة بدون قصد :

- أنا لا أملك موبايل .. أقصد لا أفضل استعماله .

عاد متسائلاً بترقب :

- وماذا عن تليفون المنزل!!!

أجابت بتلعثم واضح :

- يمكنك الاتصال بى عن طريق أرقام المستشفى .. هل تعلمها؟!!

قال وهو مكتئب:

- نعم معى .

و.. هبطت من السيارة وهي تردد مسرعة :

- أراك بخير بإذن الله .

لم يتفوه بحرف واحد .. وظل يتابعها إلى أن اندلقت إلى داخل مبنى المستشفى دون أن تلتفت إليه في محاولة منها لإخفاء توترها .

مثلما تشعر كل أم بأول نبضة لأول جنين في أحشائها ، وتتمنى أن تتكور داخل رحمها لتصبح درعا واقياً يحميه من الانفلات عنها ، هكذا شعرت ريم فريد لأول مرة في حياتها بنبضة غريبة اندست داخل شرايين قلبها .. نبضة راقصة على أنغام حالمة لا تصل إلا لمسامعها هي فقط .

ماذا حدث !!؟

تساءلت هامسة إلى نفسها وهي في الطريق باحثة عن صديقتها وزميلتها سامية لطفى وما إن التقت بها بادرتها بفرحة حقيقية :

- أين انتِ يا أفضل وأصدق صديقه لى !!؟

اجابت سامية وهي تضحك بصوت مرتفع :

- ما سر كل هذه السعادة يا ريم .. يبدو أنك استعدتِ شيئاً كنت فقدتية قبل ذلك .

أجابت بلا تردد :

- بل حصلت على شيء كنت أفتقده كثيرا في حياتي .

- لا داعي للمناورات الكلامية .. وأخبريني بما حدث .

و .. أخبرتها بكل شيء .. لم تستطع أن تخفى سعادتها الجامحة ، وراحت تعدد لها محاسن شخصية ذلك الوافد الغريب ، وكيف شعرت بالأمان وهي بجواره بالرغم من أن عمر علاقه مجرد ساعة زمنية واحده .

قالت سامية وكأنها تعزز مكانة الدور الذي لعبته من أجلها :

- لقد التقيت به مصادفة في مكتب الخزينة وهو يسدد فاتورة المستشفى ورأيت حائرا ومتريداً قبل أن يسألني عنك .. وطبعاً أخبرته بمكانك .

وقبل أن تعقب ريم أردفت وهي مستاءة :

- تصوري يا ريم أنهم حاسبوه على ثمن كيس الدم .. فعلا مثل هذه المستشفيات تتعامل مع المرضى بمبدأ التجارة واستثمار الأرباح .

شعرت ريم وكأن الأخرى قد ألقت على وجهها بماء النار الذي التهم ملامحها الجميلة فجأة ، وتحولت إلى كيان غاضب وتأثر وهائج كالثور وهي تصرخ بانفعال شديد :

- كيف يفعلون ذلك .. ليس من حقهم المتاجرة بدمائى .. و ..

انطلقت كالنمرة المفترسة إلى غرفة الخزينة حيث انهالت بالسباب والاحتجاج على موظفى الحسابات فى ثورة كالبركان المتدفق بلا توقف.

وفى ثوان تجمع المسئولون عن إدارة المستشفى حولها فى محاولة فاشلة ويائسة لتهديتها وهى لا تزال فى غضبتها مردهة:

- هذا ابتزاز .. بل سرقة.

وهنا تدخل كبيرهم قائلاً بحدة:

- هذا يكفى يا أنسة ريم .. أنت تعملين داخل منظومة محترمة .. وحذار من التمادى فى انفعالك .

التفتت فى اتجاهه ، وكان ذات الرجل الذى قبل وساطة الروائى عمرو كامل لكى يجعلها تعمل بالمستشفى .. فى هذه الآونه حاولت أن تتماسك وهى تقول بانفعال مكبوت :

- لقد تبرعت بدمائى برغبتى .. و ..

قاطعها بحزم :

- هذا أيضا من واجبك لأنك تعملين بالمستشفى وتتقاضين أجراً .. و .. صمت للحظة وهو يدقق النظر إلى عينيها ثم استطرده قائلاً :

- كما أننا راعينا ظروفك وتحملنا بعض الاستثناءات من أجلك.

وقبل أن تفيق من إهانتها .. لاحقها المسئول قائلا:  
- وعلى كل حال لقد أنهينا تعاقدا معك من الآن .. و ..  
التفت نحو موظفي الحسابات معقبا:  
- امنحوها باقى مستحقاتها فوراً وأوقفوا تلك المهزلة .  
وتركهم منصرفاً .. بعد أن أدلى بتعليماته أو بقرار تشريدها من  
جديد.

---

الزمن .. ذلك الساحر المبهم الذى يحتضن فى أعماقه كل الوجود ، هو الذى تبدأ منه حسابات الحياة وتتوقف عنده أيضاً .. معنى هلامى بلا قلب أو انتماء ولا مشاعر وكذلك بلا حدود .. هو المتلقى الاوحد لكل المتناقضات التى تفرزها أفراح وجراح البشرية بأجمعها .. مسئولاً بلا مسئولية عن النجاحات والإخفاقات والقيم الجميلة وايضا خطايا الرذيلة .

هكذا وجدت ريم فريد نفسها فى مواجهة غير متكافئة مع الزمن أو مع واقعها المتعطرس والعنيد .. اضطرت أن تعود إلى المكان الذى طردت منه وابتلعت فى جوفها مرارة الإهانة وبطش الجهل وسموم الحقد الذى تفتن شقيقها سعيد فى محاصرتها به من خلال عقده وأمراضه النفسية وأيضاً من خلال سلبية أخيها الأكبر محمود الذى وقف عاجزاً أو مسانداً بصمته لكل الأهوال التى تلقنتها ريم وعلى قمته نبأ وفاة والدتها أثناء فترة غيابها عن الجراح .

لم يعد فى مقدورها ان تقدم التنازلات لأنها فى الأساس لا تملك قرارها .. أخذت غرفتها لصالح سعيد وزوجته الجديدة ، وارتضت مقهورة بأحد أركان غرفة استقبال الزائرين بعدما احتل محمود حجرة والدته لإقامته بالإضافة للمساحة الضيقة الباقية لتخزين صناديق المياه الغازية وغيرها التى يتاجر بها مع اهالى المنطقه .

دوامات الحيرة جعلت منها كقطعة الفلين التى تتقاذفها أمواج البحر تارة إلى أعلى وأخرى تخفى معالمها للحظات .. فبقايا النقود التى كانت تدخرها بدأت تتسلل من بين يديها وشبح الخوف أحكم قبضته على فكرها وهى تقاوم بكل إرادتها فكرة اللجوء إلى الروائى عمرو كامل مرة ثانية بعد الذى حدث فى المستشفى خجلا منه .. أضناها البحث عن عمل آخر خاصة أنها كانت تتعمد الانصراف مبكرا ولا تعد إلا مع الغروب تجنباً لأية مواجهات مع ساكنى الجراج التى تشعر بينهم بالغرابة والنفور لإحساسها بأنهم يترصدونها ويتربصون لأى خطأ منها يمنحهم المبرر لإيقاظ ما يضمرونه لها فى أعماقهم .

لم يكن أمامها غير أن تلعن الزمن .. وكأنه مسئول عن رحيل والدها بالموت المفاجئ وما ترتب عنه من ضياع وقهر وانكسار.

ساقتها قدميها الى إحدى الصيدليات بمنطقة المهندسين لتعرض خدماتها فى الفترة المسائية ، وكان الأقدار هى التى تسوقها فبعد يومين من استلامها للعمل الجديد بمرتب لا يكاد يكفى مصاريف تنقلات مواصلاتها ذهابا وإيابا إلا أنها وافقت مضطرة لتتمكن من مراجعة دروسها فى مناخ هادئ خاصة أن امتحانات نهاية العام ستبدأ بعد أيام قليلة .

دخلت الصيدليه فتاة صغيرة ومدت إليها بالروشتة لشراء بعض الأدوية ، وما كادت ريم تتابع أسماء الأدوية حتى تصالبت

نظرتها فوق اسم الطبيب الذى تقع عيادته على بعد أمتار من الصيدلية .. كانت الروشثة باسم الدكتور أكرم صدقى بطل قصة الوهم التى عاشت أحداثها منذ بداية التحاقها بالكلية .. الطبيب الشاب الذى تحطمت تحت قدميه فى آخر لقاء بينهما كل أحلامها الوردية وتهاوت عنده مشاعرها الحبيسة كما تتهاوى القصور الرملية فوق شواطئ العشاق .

و .. بدون إرادتها وجدت نفسها تسأل الفتاة قائلة :

- هل الدكتور أكرم موجود بالعيادة الآن؟!!

أجابت الفتاة بتلقائية:

- نعم .. فأنا تركت العيادة منذ دقائق فقط .

كالمسحورة وجدت ريم نفسها تخطو فى اتجاه عيادة أكرم صدقى بعد انتهاء فترة عملها بالصيدلية .

وقفت تتأمل اللافتة المضيئة التى تحدد اسم الطبيب والطابق الخاص بعيادته وكأنها تسترجع فى ذاكرتها رحلة طويلة مع أحاديثه ومواقفه ومبادئه التى طالما ردها أمامها فى السابق .

استغرقت عدة لحظات ما بين تردها فى الصعود إلى العيادة وبين انتظاره .. وقبل اتخاذها القرار ظهر أكرم صدقى عند الباب الخارجى للعقار فى طريقه إلى الانصراف ، فأسرعت فى اتجاهه دون تردد .. ونادت بصوت مرتفع قليلا :

- دكتور أكرم .. دكتور أكرم .

التفت تجاه الصوت ليفاجأ بها فى لحظة اختلطت فيها كل مشاعره ما بين الفرحة والدهشة واللهفة .. و .. التراجع .

ردد بهمس :

- ريم .. يا لها من مفاجأ !!

قالت بهدوء :

- فى الحقيقة هى مفاجأ بالنسبة لى أيضا .. فأنا علمت بوجودك هنا منذ دقائق فقط .

تلقت حوله قبل أن يقول بحذر:

- تفضلى إلى سيارتى لنذهب إلى أى مكان يمكننا التحدث فيه .

راففته فى صمت وهى تتأمل السيارة الفاخرة التى يخطو فى اتجاهها .. وبعد أن اندلقت بداخلها وجلست بجواره وتحرك بها لعدة أمتار .. بادرها متسائلاً :

- كيف حالك يا ريم .. وما هى أخبارك .. هل تركت الكلية .. أم ..

أسرعت قائلة :

- بالتأكيد لم أتركها .. فأنا أستعد للامتحانات بعد عدة أيام .

طفرت ابتسامه باهته على جانب من شفثيه .. ثم همس وكأنه يحدث نفسه :

- رائع .

وبعد أن استقرا داخل كافيتريا الفندق الشهير .. بادرته هي بمباغته غير مقصودة :

- يبدو أن أمورك تحسنت كثيرا .

عادت ابتسامته الفاترة من جديد قبل أن يجيب باقتضاب مبهم :

- لقد اختصرت الطريق !!

وقبل أن تستفسر عن تلك الإجابة المبهمة ، لا حقا مستطردا باسترسال :

- لقد حسمت قرارى مع أول فرصة لاحت لى .. ووجدت أن المنطق يساندنى أمام مواجهة واقعى .. وبالرغم من أن المقابل كان رفض عائلتى وغضبها منى وتكاد تكون أواصر العلاقه بينى وبينهم قد تمزقت تماما .. إلا أن النتيجة كما ترينها الآن .. عيادة فاخرة وسيارة غالية ومسكن يطل على النيل .. و هو ما كان سيحتاج منى عشرات السنين إذا ما حاولت أن أحقق كل هذا .

ازدادت حيرة وهى تتساءل بدهشة :

- لا أفهمك .. ماذا تقصد باختصار الطريق .. وكيف؟! !!

قال بنبرة متهكمة :

- تزوجت.

لم يثر اهتمامها .. وسألت مرة أخرى بعفوية :

- وما الغريب فى ذلك؟! !!

أجاب بصوت منخفض :

- ثلاثون عاما الفرق بين عمرى وعمرها .. تقريبا فى عمر والدتى .

اتسعت عيناها بنظرة امتزج فيها الدهشة والانزعاج

وقالت بجرأة غير متوقعة :

- تقصد بعث نفسك من أجل المال !!

أسرع يقاطعها مؤكداً :

- بل اشتريت مستقبلى .. وأنقذت أحلامى من الضياع وحصنت

نفسى من الفقر والشقاء والهرولة وراء الشعارات التى لا تفيد ..

ويكفى أنه فى يوم من الأيام عجزت أن أبوح بما فى أعماقى من

أحاسيس لأننى كنت أشعر بعدم أحقيتى فى التعبير وهو أقل حق

لأى إنسان طبيعى .

شعرت بإحساس الغثيان وهى تتساءل :

- وهل أصبحت تملك الآن حق التعبير عما فى أعماقك..!!؟

أجاب بثقة :

- نعم .. فأنا الآن قادر على الأقل أن اخبرك بأنك كنت أول  
وأخر حب فى حياتى كلها .. و ..

انفالت الكلمة من بين شفيتها مرده بانزعاج شديد :

- حب ...

صمتت عدة ثوان قبل أن تستطرد قائلة :

- عن أى حب تتحدث !!

اجاب بجديه :

- تسألك هذا أكبر دليل على قدر القهر النفسى الذى عشت فيه  
بسبب عجزى عن إخبارك بمشاعرى نحوك .. علاقتنا دامت  
سنوات طويلة وكل منا لا يجرؤ أن يفصح للآخر عن حقيقة  
مشاعره.

قالت بحدّة:

- ما أهمية المشاعر إذا لم تساندها المواقف !!؟

طأطأ رأسه قليلا قبل أن يجيب قائلا :

- أعرف أن موقفي كان سلبياً عندما اخبرتنى بمشكلاتك .. ولكن ..

قاطعته وهي على انفعالها المكبوت :

- كما أنني لم أطلبك بشيء .. وأحمد الله أنني لم أفعل ذلك .

مسح جبهته بطرف إصبعه ، ثم قال وهو يحاول أن يخفي ارتباكته :

- على كل حال .. دعينا من الماضي .. الآن الظروف تغيرت  
والقدر جمع بيننا مرة ثانية .. وبإمكاننا أن نحقق كل ما كنا نحلم  
به .

رمقته بفتور وتساءلت :

- ماذا تقصد ؟!

قال بلا تردد :

- نتزوج !!

قالت بهدوء وكأنها تستدرجه نحو أمر ما :

- كيف .. هل سنتزوجني بأموال زوجتك .. أم ستطلقها من أجلي؟!!

أجاب وكأنه يلقي محاضرة في مدرج تعليمي :

- يا ريم أنا أكثر منك خبرة فى الحياة .. والأيام لا ترحم ،  
وموضوع المبادئ والمثل العليا يمكن التحدث عنهما فى الكتب  
أو فى الجلسات الخاصة .. أما على أرض الواقع فالأمر مختلف .

همهمت بحذر :

- وهل ستخبر زوجتك بما سنقدم عليه !؟

اسرع دون وعى مردداً :

- بالطبع لا .. ولكن يمكننا الزواج عرفياً بشكل مبدئى .

قالت وقد ترققت ابتسامتها الهادئة فوق شفيتها :

- كم أنا سعيدة بلقائك اليوم .. و ..

وقبل أن تتبجح ملامحه .. عادت واستطردت :

- لأن صورتك اكتملت تماماً فى نظرى .. وتأكدت أن والدى  
توفى وهو راض عنى .. فأنت تستحق ما أنت فيه ، أما أنا  
فأنقذت من الوهم الذى كنت أعيش به أيضاً .

ابتلع إهانتته ببرود ، وقال فى محاولة لرد اعتباره :

- انتِ مكابرة يا ريم .. وعناد الواقع قد يكلفك كثيراً .. و سوف  
ترين !!

وقفت فجأة بلا مقدمات .. وقالت وهى تتأهب للإنصراف من أمامه :

- دعنى أسألك أنت سؤالاً لتبحث عن إجابته مع نفسك .. هل من الأفضل أن أتصارع مع الواقع وأنا محتفظة بكيانى وكبريائى .. أم أروض له وأقايضه بكرامتى للدرجة التى أخجل فيها من نفسى كلما نظرت إلى المرآه .. وما بالك من نظرة الآخرين أيضا .. و ..

تركته دون كلمة وداع .

بدت خطواتها متعثرة كخواطرها تماما .. استقلت الميكروباص لينقلها إلى الزمالك وهى تعيش لحظات مع أحلام اليقظة ما بين ماضيها وحاضرها ومخاوفها من المستقبل .. استراحت الى إحساس هادئ تغلغل إلى أعماقها ومنحها شعورا بالرضا والفخر ، لأنها استطاعت فى لحظة ضعف شديدة أن تستنفر فى داخلها نبضات التحدى لتواجه العرض المغرى الذى قدمه إليها أكرم صدقى وهى تدرك تماما أنها إذا قبلته سوف تنتقل من حياة إلى أخرى ومن واقع إلى بديل آخر سينتشلها من حالة التشرذم الذهنى والبدنى أيضاً .. ولكنه الوفاء والحب .. الوفاء لذكرى والدها عم فريد الذى أفنى حياته فى سبيل تحقيق حلمه الكبير لمستقبلها ، والحب الذى ملأ قلبها كطبيعة فطرية احتوت كياناتها منذ طفولتها فتحصنت به من نزوات نفسها .

وبلا مقدمات طفرت إلى مخيلتها صورة احمد فهمى لتقحم نفسها في مقارنة بينه وبين أكرم .. أعادتها تلك اللحظة إلى ارض الواقع وهى تطل من نافذه السيارة وكأنها تكبح جماح خيالها بعيدا عن تصور آخر قد يعيدها من جديد إلى حالة الوهم فى ثوب بديل لم يعد فى مقدورها ارتدائوه مرة ثانية بعد إدراكها بأن أحلام اليقظة عادة ما تغدر بصاحبها عند أول مواجهة مع الواقع. هبطت من السيارة واتجهت سيرا على قدميها نحو الجراج .

كانت الساعة قد اقتربت من منتصف الليل .. توقفت عن السير عندما لاحظت ازدحام غير عادى أمام بوابة الجراج ومسحت المكان بنظرتها لتجد بعض سيارات الشرطة على الجانبين والمدخل الخاص به ، فتحركت بسرعة فى اتجاهه لتستطلع الأمر وبمجرد اقترابها من الباب الخارجى استوقفها أحدهم متسائلا :

- انتِ ريم؟!!

أجابت وهى فى اضطرابها :

- نعم أنا ..

فى هذه الأثناء اقترب منها شخص آخر وبادرها قائلا :

- أين غرفتك؟!!

وقبل أن تجيب دفعها برفق لترافقه إلى داخل الجراج حيث يوجد  
المبنى المتطرف فى نهاية الممر ودخل بها إلى أحد زوايا الغرفة  
وعاد ليتساءل بحزم :

- أهذا فراشك؟

ردت بصعوبة :

- نعم .. نعم هذا فراشى.

التفت إلى شخص ثالث اندفع نحوه مسرعا وهو يحمل فى يده  
حقيبة متوسطة الحجم فتناولها منه ، وعاد إليها قائلا :

- هذه الحقيبة تخصك !!؟

حاولت أن تتفحصها جيدا قبل أن تقول :

- كانت لى سابقا ولم أعد أستعملها منذ كنت فى المرحلة الثانوية.

ابتسم بسخريه قبل أن يعقب قائلا :

- هذه الحقيبة وجدت أسفل فراشك .. وهى مليئة بالحبوب

والأقراص المخدرة.. و ..

اتجه بنظره إلى شقيقها سعيد .. ثم أرفد :

- وأخوك يؤكد عدم علمه بهذه الأقراص وقرر أنها تخصك لأنك

تعملين فى المستشفيات والصيدليات .. و ..

صرخت بانزعاج :

- مستحيل .. أنا لا أعلم شيئاً عن هذه المخدرات

قال محتداً :

- لا داعى للمراوغة .. أخوك اعترف عليك .. كما اعترف على ملكيته لنبات البانجو الذى وجدناه فى غرفته .. يبدو أنكم تشكيل عصابى كل واحد منكم له تخصص .

- أنا طالبة طب .. ومستحيل أن ..

قاطعها بغضب :

- يبدو أنك سترهقيننا فى التحقيق .. و ..

تحول إلى احدهم أمراً :

- خذها للسيارة مع اخيها تاجر المخدرات .

و .. قبل أن يتقدم نحوها المكلف بتلك المهمة ، فوجئ الجميع بسقوطها على الأرض مثلما تسقط الصخرة من فوق اعلى قمة الجبل .

وبمنتهى الحزم ردد الضابط :

- احمّلوها الى السيارة فلقد عهدنا تلك التمثيليات كثيرا من قبل ،  
فحملوها وهي معشى عليها وساروا بها بين الحشد المتجمهر  
والتعليقات تلاحقها من كل جانب .

---

الظلم لا يعيش إلا فى الكيانات الضعيفة .. فهو كالفيروس المدمر الذى لا يقترب ولا يجرؤ الاقتراب إلا من الأجساد الهزيلة التى تفقد لكل مقومات المناعة ، وهو أيضا لا يمكنه أن يتعايش أو يفرض وجوده إلا بمعاونة حلفائه من الفطريات السامة بمختلف أشكالها وفصائلها كالغدر والجبن والأنانية والخسة والطمع وشهوة التسلط والتسلق والمصالح المشبوهة والنفاق واللامبالاة .. و .. الصمت عليه عمداً .

ليال رهيبة مضت على ريم فريد .. بدت عقارب الساعات أشبه بالأشواك التى تعلو ظهر القنفذ ، فكلما مرت ساعه لتلحق بالأخرى كانت تعتصر وجدانها وتغرس أسننتها فى كياناتها الضعيف ، وهى تواجه اتهامات ظالمة من كل اتجاه .. وعلى غير المتوقع حاول شقيقها الأكبر محمود أن يكون إيجابياً لأول مره وأدلى بشهادته أمام النيابة لصالحها واتهم شقيقه بأنه هو الذى يعمل فى تجارة الاقراص المخدرة ، كما أنه سارع بالاتصال بالروائى عمرو كامل مستجداً به لعله يجد مخرجاً لها من تلك الأزمة من خلال تكليف محام يتولى الدفاع عنها .. واستطاع عمرو كامل بالفعل أن يدير أزمتهما بهدوء بعد أن طلب منها إرسال خطاب مسجل للجامعة بالاعتذار عن عدم دخول الامتحان لهذا العام نظراً لظروف خاصة بها وكان مجرد

ظهوره فى الصورة أمامها كفيلا بأن يعيد إليها الاحساس بالأمان  
وبأنها ليست وحيدة بل هناك من يساندها عن اقتناع .

كان فى استقبالها عند خروجها من سراى النيابة ، بدت هزيلة  
وشاحبة ومنكسرة ، كياناً محبطاً .. خطواتها ثقيلة بالرغم من  
نحافة قوامها ، وانطفاً بريق مقلتيها وذابت ابتسامتها من فوق  
شفتيها .

سارت بجانبه فى استسلام بلا ارادة ، لم يتبادلا أى حوار أثناء  
استقلالهما سيارة الأجره التى توقفت بعد دقائق أمام أحد  
الكازينوهات حسب طلب عمرو كامل .. وبمجرد جلوسهما فى  
أحد أركانها .. بادرها قائلاً:

- أشعر تماماً بما تعانين منه الآن .. وأقدر حالتك النفسية ..  
ولكنى أرى من واجبى نحوك أن أتحدث معك بوضوح فى أمور  
كثيرة .

رفعت نظرتها إليه وقالت بنبرة هادئة :

- قبل أى شىء أريد أن أشكرك على مواقفك معى التى ...

قال مسرعاً:

- دعينا نفكر فى الغد أفضل .. و ..

قاطعته بإصرار :

- لدى سؤال حائر يدور فى ذهنى دائما وأرجو أن أجد إجابته  
عندك !!

سألها بشغف :

- ما هو .. اسألى كما شئتِ !؟

قالت وهى تتأملة:

- لماذا تفعل معى كل هذا .. لماذا أنت فقط الذى أجدك دائما  
تساندى فى كل أزماتى؟

أشاح بوجهه بعيدا عن عينيها للحظة .. ثم عاد اليها قائلا :

- من حفاك أن تعلمى .. وأعتقد أنها لحظة مناسبة لتعرفى كل  
شئىء .

انتظرت صامتة لعدة لحظات .. ثم همست :

- من فضلك لا تتردد :

أطلق من صدره زفرة طويلة قبل أن يجيبها :

- عم فريد رحمة الله عليه ، طوق عنقى بدين سأظل ما حييت  
أذكره له .

اتسعت عيناها بنظرة مندهشة وهى تتساءل بلهفة :

- كيف .. وما علاقة أبى بهذا الأمر!!؟

ابتسم برضا ، وفى عينيه نظرة ملؤها الشجن .. ثم قال :

- إنها قصة طويلة .. وأرجو أن يتسع صدرك لسماعها .. كما أرجو أن تتأملى أحداثها بعناية حتى لا تختلط عليك الأمور .

- لا تزيدنى حيرة أرجوك .

دار بنظرته فى عدة اتجاهات ، وكأنه يستدعى ذكريات الماضى .. ثم بدأ يقول بجدية شديدة :

- فى مرحله من مراحل عمرى كنت مفتونا بنفسى وبموهبتى ، ومنبهرأ بعلاقتى إلى حد الغرور .. كنت نائراً على واقعى متمرداً ومخدوعاً بأحلام يقظتى .. واصلت الليل بالنهار فى نزواتى وشطحاتى الفنية ، وأزاد من إصرارى واستهتارى نفاق الآخرين من حولى بتشجيعهم وإعجابهم بأسلوب حياتى .. أصبحت لا أرى إلا بعيونهم ولا أستمع الا بمجونهم .. تعددت زيجاتى وأنجبت منهن جميعا ، ودعائى غرورى وظنى اننى بذلك أحقق لهم بتصرفى هذا أغلى أمانيهن وطموحاتهن .. غابت الحقيقة عنى .. وتركنى الجميع كما ترين .. لا زوجات ولا أبناء .. ولا أصدقاء صادقين .. و ..

هممت بحذر :

- وأبى !!

واصل مستطردا بحماس :

- منذ خمسة عشر عاما واجهت أول لحظة ضعف فى حياتى ..  
لحظه أدركت فيها ما كنت أتجاهل إدراكه أو كنت لا أتصور  
حدوثه .. لقد استقويت على صحتى وتعاليت على اللبالي ،  
وتباهيت بما لدى من مقومات فأستعديت حاضرى واستهنت  
بغدى .. فكانت لحظة المرض .. كان الألم ينهش فى كليتى  
ويمزق أحشائى .. لا أحد يشاركنى أنين الصراخ إلا سكون الليل  
وخواء الوحدة.. والدك هو الوحيد الذى كان يتابعنى ويدبر لى  
احتياجاتى من ادوية أو طعامى من الخارج ، كنت أستعين به فى  
أى وقت من الليل أو النهار ، وكان دائماً بشوشاً وراضياً ولم  
يتذمر قط من كثرة اعتمادى عليه .. و ..

صمت للحظة راح يتفحص فيها وجهها .. ثم أردف قائلاً :

- كنتِ انتِ فى التاسعة من عمرك تقريباً .. وكان والدك لا  
يناديك إلا بالدكتورة .. كان ذلك حلم حياته كلها .. وعندما اشتد  
بى المرض والألم أقر الأطباء ضرورة نقل كلية بديلة عن كليتى  
المريضة .. بحثت كثيراً وانتظرت طويلاً .. وتحولت حياتى إلى  
عذاب مزمن يفوق كل الاحتمال .. وذات ليلة فوجئت بعم فريد  
يقترح علىّ بإصرار أن يتنازل عن إحدى كليتيه لى . وكأن يد  
القدر قد مدت إلى بطوق النجاة والخلص من ذلك العذاب الذى  
قهرنى .. كان لوالدك شرط وحيد أصر عليه بإرادة قوية وهو ألا  
يعلم أحد من أسرته بما اقترحه ويرغب فى تنفيذه .

غاب مع ذاته لعدة لحظات وكأنه يسترجع ذلك الموقف ، وقد بدا عليه ملامح التأثر الشديد .. ثم تحول إليها بنظره ، واستطرد وكأنه يحدث نفسه :

- توحدت الرغبتان .. هو يريد أن يكمل رسالته معك .. وأنا أريد أن أوصل حياتي بلا ألم . واستطعنا أن نخفى الأمر عن الجميع بادعائه ضرورة علاجه من بعض الأمراض وهو ما يتطلب تواجده بالمستشفى .. وأحمد الله أن العملية نجحت وأصبحت أعيش حياة عادية دون ألم ، وهو استطاع أن يقطع رحلة طويلة على طريق تحقيق حلم عمره ، إلى أن اختطفه الموت فجأة .. وكانت تلك اللحظة من أكثر لحظات حياتي حزنا عليه .

شعرت ريم وكأنها فقدت بصرها فجأة بعدما غشيت الدموع مقلتيها وراحت تنذرف كالنزيف وهي صامتة لا تستطيع السيطرة على رجفة شفثيها ، بينما طأطأ هو رأسه قليلاً وهو ينظر إلى لا شيء ، عامداً ألا يتدخل في محاولة تهدئتها وذلك تقديراً لذكرى عم فريد العطرة وجاهد بكل قواه ألا تنقلت مشاعره هو الآخر فيشاركها البكاء الصامت .

امتزجت المشاعر وتداخلت ، وفرضت الذكريات نفسها على الواقع للدرجة التي أنهت تأثيره وأصبحا وكأنهما بلا حاضر .. كادا أن يستشعرا صورة عم فريد وقد تجسدت من جديد وتشاركهما هذا اللقاء في لحظة من لحظات عالم الغيب والمجهول.

- اغفرى لى يا ريم .. أننى فاجأتك بتلك الحقيقة .. ولكنى كنت مضطراً لذلك عندما لاحظت نظرة الإحباط واليأس فى عينيك .. وخشيت أن تؤثر فيك الأحداث التى مضت عليك .

أجابت بصعوبة :

- أنا تائهة .. أشعر وكأنى أسبح فى الفضاء ولا مستقر لى .

قال بحسم :

- للأسف الواقع لا يأبه بالضعفاء .. فلا حقوق ولا طموحات ، ولا أمانى أو رغبات لأى إنسان لا يملك مقومات القوة ، سواء بالمال أو التميز أو بالإرادة .

قالت بنبرة حزينة :

- أنا لا أملك شيئاً من كل هذا !!

أجاب مسرعاً:

- بل تملكين ما هو أكثر من ذلك .

رمقته بنظرة حائرة .. فأردف قائلاً :

- تفديسك لذكرى أبيك .. وحبك له .. وتقديرك لما فعله من أجلك سيمدك بكل ما تفقدينه الآن فى تلك اللحظة .

تساءلت بياس :

- كيف !!؟

- عندما تتغطرس الأحداث ويكشر الواقع عن أنيابه لأى إنسان يجب عليه أن يتحایل ويتحامل على نفسه ، ويقدم بعض التنازلات غير المسيئة له إلى أن يعبر مرحلة الضعف .. تماما كالمريض الذى يستكين لأوامر اطبائه حتى يشفى مهما تحمل مرارة الدواء وأسلوب العلاج.

قالت بطيبة :

- لا أفهمك يا أستاذ عمرو.

- أقصد أنه ليس بالضروره ان يكون اختيارك بناء على رغبتك الحقيقيه ، المهم ان تحققى اهدافك من خلاله .. و ..

سكت برهه ، وازدرد ريقه وكأنه يبحث عن وسيلة مناسبة لكى يخبرها بأمر ما .. ثم استطرد قائلا :

- بالمناسبة مالك العقار أمهل شقيقك محمود أسبوعا لكى يترك الجراج ..

وعلى غير المتوقع ارتسمت ابتسامة بلا معنى فوق شفثيها قبل أن تقول :

- أنا لا أنتظر من واقعى غير ذلك !!

قال بلا تمهيد :

- انت مرهقة الآن .. هيا لأعيدك إلى منزلك .. وغدا سيكون أمامنا فرصة أكبر لأطرح عليك تصور للإختيارات التي كنت أقصدها .

فاجأته قائلة :

- دعنى أعود بمفردى .. فأنا فى حاجة لأن أختلى بنفسى قليلا .

بلا وعى أو تردد وضع يده فى جيبه ليمنحها بعض المال ، ولكنه ما كاد يفعل حتى انسحبت يده مرة أخرى أمام نظرتها إليه التي ترجمها سريعا وكأنها تستصرخه بالألا يدمر مشاعرها تجاه مواقفه النبيلة السابقة معها فتراجع بارتباك وقال مضطرباً:

- إذن سأراك غداً .

و .. تركها منصرفاً .

كانت بالفعل لا تملك نقودا ، فما تبقى معها تركته قهرا فى مسكنها بالجراج عندما سقطت مغشيا عليها .. فهى رفضت منه الإحسان ولكنها تقبل المعروف .. لم تشعر بلهيب أشعة الشمس وهى تسير بقدميها على الطريق وسط الآخرين ، بدت مستسلمة تماما لذكرياتها مع أبيها .. كيف كان حريصا كل الحرص على تنفيذ متطلبات رحلتها التعليمية ، وكيف تخلى عن قطعة من جسده من أجلها ومن أجل حلمه الكبير .. راودها خاطر مثير

وهى وسط الزحام بأنها سوف تلتقى به ليأخذ بيدها كما كان يفعل منذ نعومة أظافرها.

سيطر الإعياء عليها تماما بعد أن قضت قرابة الساعة والنصف وهى هائمة من طريق إلى آخر حتى وصلت إلى الجراج وهى تكاد تزحف بخطواتها فى حالة أقرب إلى السقوط على الأرض .

وجدت شقيقتها محمود يجلس منزويا وهو يضع رأسه بين كفيه ، وعندما شعر بقدمها رمقها بنظرة سريعة ثم عاد الى وضعه السابق دون أن يتفوه بحرف واحد .. اقتربت منه وتساءلت بنبرة منهكة :

- هل حقا سنخلى الجراج خلال أسبوع ؟

هز رأسه دون أن ينظر إليها مؤكدا على كلماتها ، وما كادت تستدير فى اتجاه غرفتها حتى تصلبت خطواتها فى مكانها عندما فوجئت بمن يناديها بصوت مرتفع :

- ريم .. ريم.

وجدت نفسها وجها لوجه أمام صديقتها وزميلة العمل السابق سامية لطفى التى أسرعت إليها بلهفة وهى تردد :

- ريم يا حبيبتي .. حاولت أن ألحق بك فى سراى النيابة ولكنى علمت بانصرافك .. كيف حالك الآن يا صديقتى !!؟

ظلت صامتة لعدة لحظات فى محاولة منها لاستعادة توازنها من  
شدة المفاجأة .. ثم همست على استحياء :

- كيف علمتِ بما حدث؟!!

التفتت سامية فى اتجاه محمود .. ثم عادت لتقول :

- علمت من أخيك عندما حضرت الاسبوع الماضى للسؤال عنك..و..

حاولت أن تخفف عنها وطأة الموقف وأردفت مسرعة بنبذة  
مازحة كعادتها :

- هل سنظل واقفن هكذا .. أرجوك أرحمى كتلة الشحم التى فوق  
عظامى .

أدارت ريم رأسها فى عدة اتجاهات وفى عينيها بدت الحيرة  
واضحة وأثناء ذلك تحرك محمود من مكانه وأحضر مقعداً  
خشيباً مستطيلاً يسمح بجلوسهما معا متجاورتين ، ثم عاد إلى  
مكانه مكتئباً فى صمت .

قالت سامية:

- أعرف أن الظروف لا تسمح بأية حوارات بيننا الآن ..  
فالإرهاق واضح عليك .. ولكن .. لولا إلحاح الاستاذ أحمد  
فهى ما كنت ..

قاطعتها بانزعاج حقيقى :

- أحمد فهمى .. هل .

أسرعت قائلة :

- لا .. لا فهو لا يعرف شيئاً .. كل ما فى الامر انه كان دائم الاتصال بك فى المستشفى أثناء سفره .. ثم فوجئت بعودته منذ أيام وأصبح يومياً تقريباً يلح على رؤيتك حتى أصبحت عاجزة عن طرح أية مبررات أخرى لعدم وجودك ، وخشيت أن يعرف عنوانك من المستشفى ويحضر إليك بنفسه .

همست وكأنها تحدث نفسها :

- أحمد فهمى .

عادت سامية لطفى تقول بحذر :

- سأتركك الآن يا ريم .. ولكن .. عندى رجاء أرجو أن تحققيه لى !!

أشارت برأسها مستفسرة ثم همست مره ثانية :

- ماذا تريدان يا سامية !؟

أجابت مسرعة وهى تمد إليها بجهاز الموبايل :

- اتصلى بالأستاذ أحمد .. لكى يطمئن عليك .. فهو لن يتركنى إذا لم تفعلنى ذلك .. وأنا متأكدة أنه سيواصل إلحاحه .

أجابت بكلمات تترنح أحرفها فوق شفقتها :

- سأتصل بك وأحدد له موعداً الأسبوع القادم لكي نلتقى .. و ..  
نهضت بتناقل بعد أن شعرت بالدوار يفاجئها ، فاضطرت سامية  
أن تقف هي الأخرى ، واحتضنتها برفق قبل أن تنصرف  
مرددة:

- عهدي بك أنك قوية .. وأنا على يقين بأنك ستجتازين أزمتك .  
وما إن استقرت ريم فوق فراشها حتى تناوبت عليها هواجس  
الأحداث الماضية في حالة من الاضطراب والتشابك واللاوعي  
أيضاً.

نهار كالليل !!

الشمس ساطعة في الخارج ، والقتامة وظلمة الحيرة مستقرة في  
أعماقها .

رددت مع نفسها :

.. عن أي أزمة تتحدث سامية!!؟

فما أقسى أن يفرض الواقع أحكامه على الإنسان ويجعله غير  
قادر على اتخاذ أي قرار بعد أن يسلبه حق الاختيار .

كيف تتعامل مع حاضرها وهي بلا أمل في الغد وبلا سند ولا  
مأوى ؟

فى غفلة من سطوة الواقع وعناد الزمن ، شعرت ريم بحاله أشبه بالأمل وهى فى طريقها للقاء أحمد فهمى .

هى لم تجد تبريراً لذلك الإحساس الذى أعلن عن تواجده فى وجدانها بقوه منذ اللحظة الأولى التى رآته فيها بالمستشفى .

وهو أيضاً لم يكن على استعداد للتنازل عن ذلك الشعور الهادر الذى لازمه طوال فترة غيابه الأخير ، فلقد كان أكثر وضوحاً وجرأة مع نفسه ، وترجم إحساسه نحوها منذ أن رآها فى المرة الأولى ، مدركاً بأن كف القدر قد بسط أنامله ومنحه هبة الحب الذى تمكن من أعماقه تماماً ، وأصبح غير قادر ولا راغب فى التخلص منه .

كان اللقاء بينهما كتلامس خيوط الفجر مع لحظة الشروق .. كلاهما حاول أن يذيب الآخر فى نفسه دون استقواء أو استعلاء .. فقط من أجل رغبتهما فى التوحد .

بدت ريم وكأنها تستجدى الزمن بأن يساندها فى أن يعجل بمنح الفرصة لأحمد فهمى لكى يبوح لها بمشاعره نحوها فهو يمثل بالنسبة لها طوق النجاة بحق من كل خبايا القدر .. كانت تلاحقه بنظراتها الصامتة ، وتترقب بشغف كبير مبادرته بحديث المكاشفة عما يرغب فيه ويلح عليه .

بينما راح هو ينتقل من حديث إلى آخر فى مواضيع مختلفة .  
وكانه يبحث عن ملاذ يحمى به من مخاوفه إزاء رد فعلها إذا ما  
صارحها بما استقر فى وجدانه من مشاعر نحوها .

أخيراً استجمع شجاعته وبادرها قائلاً:

- لديّ رجاء عندك أرجو ألا ترفضيه .. بالرغم من علمى أنه  
ضد مبدئك !!

رمقته بنظرة مستفسرة.. ثم فوجئت به يمد إليها بصندوق  
كرتونى صغير الحجم وبداخله جهاز موبايل .. وأردف :

- هذا الجهاز سيضع حداً لمعاناتي الشديدة، عندما أريد محادثتك.

ترقرقت ابتسامة جميلة فوق شفثيها ، مما زاد من جرأته وعاد  
يقول بنبرة ملؤها السعادة :

- لا أعرف كيف أصف لك حالتى عندما فشلت فى الاتصال بك  
أكثر من مرة . وعندما عدت من السفر كان أول تصرف أفعله  
هو ذهابى إلى المستشفى لألتقى بزميلتك سامية .. و ..

ابتلع ريقه فى محاولة لاستعادة توازنه والتحكم فى حماسه  
الجارف .. ثم قال :

- لقد تيقنت أننى أعيش لحظة صدق حقيقية .. وأخشى ما أخشاه  
أن تكون هذه المشاعر تخصنى وحدى وغير متوائمة مع  
مشاعرك .

قالت وهى محتفظة بابتسامتها الهادئة :

- لم أعتد على قبول هدايا من أحد .. خاصة أننى ضد استعمال  
الموبايل .. ولكن ..

توقفت برهة عن الكلام وهى تدور بنظرتها فى غير اتجاه محدد  
، وكأنها تبحث فى الأخرى عن وسيلة لكبح جماح ما تستشعره  
فى أعماقها .. ثم استطردت قائلة :

- ولكن للضرورة أحكام .. فأنا أيضاً تمنيت كثيراً التحدث معك .

فاجأها قائلاً بصدق:

- أحبك يا ريم .. وأشعر بأن الأقدار قد كافأتنى بهذا الحب لأننى  
انتظرتك فى خيالى طوال سنين عمرى .

أحست بنبضات قلبها تفتersh كيانها كله ، حتى كادت تسمع  
صداها فى أذنيها وغشيت حمرة الخجل بشرة وجهها وهى تسقط  
نظرتها إلى لا شىء محدد ولم تعد قادرة على النطق بحرف  
واحد .. بينما أستسلم أحمد فهمى لسلطان عاطفته ، وواصل  
كلماته قائلاً :

- هل تقبلين الزواج منى يا ريم !!؟

وكانها فى حلم جميل استيقظت منه فجاء .. تماماً ك لحظة برق تسطع وتخبو قبل أن يتبينها البصر .. شردت بذهنها فى مواجهة واقعها المضطرب ، فهو لا يعلم شيئاً عن حياتها .. هاجمتها تساؤلات كثيرة بعضها أكثر شراسة من قدرة تحملها .. فماذا ستقول له ؟ .. وما هو موقفه لو عرف كل الحقيقة ؟!

كادت أن يغشى عليها عندما فاجأها قائلاً:

- أنا أعرف ما يدور بخلدك الآن .

نظرت إليه بذهول دون أن تعلن .. فأردف يقول :

- أنتِ أمامك عام او عامان للانتهاء من دراستك ولذلك سأترك لك الخيار .. فإما أن نتم زواجنا وتواصلى دراستك ونحن معاً.. أو نعتبر تلك الفترة كخطوبة بيننا .. فأنت وما تشائين يا ريم .

قالت بصعوبة :

- هناك ظروف يجب أن تعرفها عنى أولاً .. و ..

قاطعها بلهفة :

- أنا لا يهمنى غير موافقتك فقط .. وعلى استعداد للذهاب إلى أسرتك الآن وأتقدم للزواج منك فوراً .

مرقت فى خاطرها صورة اخيها سعيد وهو بملابس السجن ، وأيضاً محمود الغائب الحاضر، وكأنه فى حالة توهان دائمة ،

وكذلك الأريكة الخشبية التي خلعت عليها اسم غرفتها تجاوزا ..  
كما تذكرت موقف مالك الجراج الأخير .

وقبل أن تنبس بكلمة واحدة ، سارع مستطرداً بحماس :

- جميع أفراد عائلتي ، وبالأخص شقيقتي ينتظرون موافقتك ..  
لأنهم يعلمون جيداً أهمية ذلك الأمر بالنسبة لى .

أجابت بنبره منخفضة :

- موافقتي مرتبطه بموقفك بعدما أخبرك بكل شئ عن حياتي .

ابتهجت ملامحه وقال بسعاده طفوليه :

- مهما كان الامر .. فمن الآن حياتك هي حياتي .. ودعينا  
نتصرف بطريقة عملية .

تساءلت بدهشة :

- كيف .. وماذا تقصد ؟!

أسرع يقول :

- تأتي معى الآن لأريك شقتنا الجديده التى اشتريتها قبل سفرى  
..وإذا لم تنل إعجابك سوف أستبدلها بأخرى فوراً .. هى قريبة  
من هنا .. فى منطقة الدقى .

صمتت غير معترضة ، فازداد تحمساً وهو يردد قائلاً :

- هيا بنا الآن يا ريم .. فالليالي تفتح احضانها لنا وأريد ان أسعد  
بعمرى .. لأنك عمر عمرى .

بدأت كالمسحورة وهى تجلس بجواره فى السيارة .. ظلت صامتة  
طوال الطريق ما بين التقاط بضع كلمات من حواراته المتلاحقة  
وبين شرود ذهنها وإحساسها بالخوف من المجهول .

وبالقرب من ميدان الدقى ، اندلف بسيارته داخل جراج كبير  
أسفل إحدى ناطحات السحاب التى تجاوزت العشرين طابقاً ..  
توقف المصعد بهما فى الدور الثامن عشر وتقدمها أحمد فهمى  
بخطوة فى اتجاه الشقه ، ثم التقت إليها قائلاً بعد أن فتح الباب :

- تفضلى يا أجمل عروسة فى الدنيا .

ومن الوهلة الأولى لدخولها شعرت ريم أنها تقف وسط ساحة  
شاسعة وزاد من إحساسها بذلك عدم وجود أثاث بالمكان ، مما  
منحها انطباعاً مؤثراً بأنها وسط أحد الميادين المهجورة التى لا  
بشر فيها .. اقتربت من النافذة العريضة وأطلت منها تستطلع  
الباتوراما الرائعة من موقعها حيث راودها إحساس بأنها تحلق  
فوق القاهرة بأكملها .

قال بسعادة :

- لقد تركت أمر الأثاث لك .. فهى فى النهاية مملكتك يا أميرتى .

تنفست يصعوبة قبل أن تهمس قائلة :

- أنا مصرة أن تسمعنى أولاً قبل أن أبدى موافقتى على طلبك .

بدا قلقتا وهو يجيبها :

- هل الأمر خطير إلى هذه الدرجة .. ام أنك مترددة .. أو ..

أطلق زفرة من صدره ثم أردف :

- هل هناك شخص آخر فى حياتك .. و ..

قاطعته بسرعة :

- لا .. لا .. فأنا أيضاً أتمنى أن تجمعنا الأقدار فى حياة مشتركة حتى آخر العمر .. ولكن .. لست أدرى لماذا دائماً أشعر بعدم تقى فى الأيام .. ولهذا أكتم سعادتى .. فأنا ..

تدخل قائلاً بلهفة وصدق :

- كيف تقولين هذا؟! .. فأنا لا أتخيل أن ملاكاً مثلك يمكن أن يسيطر عليها إحساس بالتشاؤم أو الخوف ..

- يا أحمد .. أنا حياتى أشبه بالميلودراما الانسانية .. كافحت كثيراً وتحملت عناد الليالى أكثر من طاقتى .. تحديث واقعى وقاومت كل العقبات التى واجهتنى من أجل تحقيق أهدافى وأحلامى .. ولكن بوفاة والدى شعرت لأول مرة بأننى أضعف بكثير عما كنت أدعيه لنفسى .

ظهرت علامات التأثر الشديد على ملامحه ، وهو يسترق السمع بشغف ثم يادها قائلاً بحب :

- أعتذر لك .. لأننى لم أكن أعلم أن والدك متوفى .. ولكن كل ما أستطيع أن أؤكدته أننى سأكون لك زوجاً وأباً وأخاً ، وسأسخر كل إمكاناتى لكى أحقق لك إلامك .. بل هى أحلامنا أنا وأنت وستثبت لك الأيام صدق كلماتى .

تنهدت بعمق وكأنها تنفض عن صدرها بعضاً من همومها لكى تتمكن من التنفس .. ثم عادت لتقول :

- من أجل هذا أنا لازلت على إصرارى بأن أخبرك بكل شىء .  
قال بطيبة :

- إذا كان هذا سيريحك ويرضيك ، فهيا ننصرف إلى أى مكان نجلس فيه لكى تخبرينى بكل شىء كما تريدين .. و ..

هبط بهما المصعد مرة ثانية ، وتقدمها هو بعدة خطوات مندافعاً إلى الجراج ليأتى بسيارته بينما وقفت هى تنتظره عند الباب الخارجى كما طلب منها .

وفى لحظة بدت وكأنها من خارج حسابات الزمن ، مثلما تنثور الطبيعة فجأة وتخلع رداء المنطق فتكفهر السماء وتعربد بسيولها ورعدها وبرقها وتتوارى الشمس وراء ضباب الغضب ،

وتنفجر الرياح كالبراكين لتكتسح كل ما فى طريقها لتترنح  
الأشجار .. و .. تموت الزهور .

فوجئت ريم بالضجيج وبأصوات واردة من داخل الجراج ما بين  
كلمات تحمل معانى التوبيخ والسباب صادرة من أحمد فهى  
واعتراضات حذرة واستعطاف مهين من البعض الآخر .

اقتربت بعدة خطوات لتتبين الموقف .. وجدت أحمد فهى وهو  
فى قمة ثورته يقف وسط العاملين بالجراج ويكيل لهم أبشع  
الألفاظ واحط المعانى ، وقد باءت كل محاولاتهم لتهدئته بالفشل  
.. رأت صورة مغايرة تماماً عن صورته .. وكأنه انسان آخر لم  
تلتقى به من قبل .. كان عنيفاً لدرجة الافتراء ، وقاسياً بلا رحمة  
وهمجياً بلا تهذيب .

و.. اندفع بسيارته إلى الخارج ثم توقف للحظات لكى تستقل  
بجانبه وهو لا يزال يزمجر بغضب مردداً:

- هؤلاء الكلاب لا يستحقون أية معاملة حسنة ..إنهم يفسرون  
الطيبة بالضعف .. بالرغم من أننى فى منتهى السخاء معهم ومع  
أطفالهم و ..

التفت نحوها وهمس فى محاولة لاستعادة اتزانها :

- أنا أسف يا ريم .. ولكنهم أخرجونى عن شعورى .

لم تعلق وهى تنتظر إليه صامتة فى ذهول .. فاستطرد قائلاً:

- تصورى وجدت أطفالهم يعبثون بالسيارة ويجلسون فوقها ،  
كما أن أباهم لم يفكر فى تنظيف زجاجها كما أمرته .. لا أمل فى  
هؤلاء وأمثالهم .. فالبيئة التى قدموا منها تظل راسخة فى  
وجدانهم مهما انتقلوا إلى حياة المدن المتحضرة .

شعرت بقلبيها وكأنه تحول إلى قطعة من اللهب وبصدرها يطبق  
فوق رئتيها إلى حد الاختناق .. وجف حلقها وخيل إليها أن  
شفتيها قد تشققت بعد أن تبخر الدماء منها .

وبصعوبة بالغة استطاعت أن تقول كالهمس :

- من فضلك أنزلنى عند ناصية الطريق .

تساءل منزعجاً :

- لماذا .. ألن نذهب لنتحدث كما أردتِ؟! !!

أجابت بسرعة :

- لا .. أقصد لقد تذكرت موعداً شديداً الأهمية بالنسبة لى ..  
ويجب أن أذهب الآن .. فوراً

توقف بالسياره عند المكان الذى أشارت إليه .. ثم توجه إليها بعد  
أن عادت ملامحه للاسترخاء وتساءل بهدوء :

- إذن .. متى سأراك ، على كل حال سأتصل بك ونحدد الميعاد  
الذى تقرينه .. و ..

وهبطت من السيارة مسرعة ، وكأنها تنجو بنفسها من ذلك  
الإعصار الذي فاجأها ، وابتعدت بخطواتها دون أن تنبس  
بحرف واحد وهي تهمس إلى نفسها مرعدة :

.. تراه يقصدني أنا؟!!!

اليأس .. يفجر الطاقات !!!

فبالرغم من أنه يمثل حاله نفسية شديدة السلبية ، قد تخضع صاحبها لسيطرة ودوامات الإحباطات التي تؤدي في النهاية الى تعميق الرغبة اللاإرادية في التخلص من حالة الإحساس بالعجز ، بأى صورة من الصور المدمرة ومهما كان الثمن . إلا أنه في بعض الأحيان يكون سبباً مباشراً في انفجار شحنات متنوعة من الجراءة والمجازفة داخل أعماق كل من وقع فريسة لذلك الداء ، بمنطق عدم جدوى المقاومة ، وبأن لا قيمة لأى شىء فى حياة البائس .

هكذا تولد ذلك الدافع فى أعماق ريم فريد وهى تدق باب عمرو كامل فى لحظة استثنائية من حياتها ، بعد أن استسلمت لقرارها الجرىء والقهرى بأن تتخلى عن كل شىء ارتبطت به فى الماضى كما تخلى عنها الحاضر .

لحظة تمرد فى حياتها استتبعت كياناً ووجداناً آخر مختلفاً تماماً عن طبيعتها ، فقررت أن تعلن عن هزيمتها بكبرياء مزيف وأن تستسلم لأحكام الواقع دون مقاومة ، بعد أن أدركت أنها لا تملك القدرة ولا الفرصة أيضاً .

لم تنتظر أن يسمح لها بالدخول عندما انفتح الباب أمامها ، ودخلت كما لو كانت تقتحم المكان .

قالت بميوعة متعمدة :

- آسفه تأخرت عليك .. جئت وأنا مستعدة لكل الخيارات التي تود أن تبلغنى بها .

تردد برهة قبل أن يتحدث إليها ، وهو يرمق ساعة الحائط بنظرة سريعة كانت تشير للعاشرة مساءً ، ثم التفت نحوها أثناء جلوسه أمامها قائلاً:

- هنا منزلك فى أى وقت تشائين .

قالت بسرعة وكأنها تؤدي مهمة تريد أن تنتهى منها :

- هذا يتوقف على رغبتك !!

بدأ يستشعر التغيير الذى طرأ عليها ، وانشغل عنها لعدة لحظات وهو يشعل السيجار المعتاد الخاص به .. وتساءل بتوجس :

- ماذا بك يا ريم ؟!

- لا شىء .. أكثر من أننى اقتنعت أخيراً بأن الإنسان مهما كانت عزمته فهو أضعف كثيراً جداً من إرادة الأمر الواقع .

تفحص وجهها قبل أن يقول :

- الواقع من صنع الإنسان نفسه .. و ..

قاطعته بجرأة :

- يؤسفنى أنك تقول معلومة خاطئة !!

حاول أن يبتسم ليخفى انزعاجه .. ثم قال :

- اذن أفيدنى بالمعلومة الصحيحة .

أجابت بنبرة جادة :

- هل أنا التى صنعت واقعى ، عندما نشأت وسط أسره تعيش أسفل طوابق السادة .. وأب تجرأ وأستجاب لطموحاته وهو لا يملك قوته اليومى .. ومشاعر الغيرة التى تحولت بالتدرج إلى سموم الحقد ، الذى استقر فى وجدان أشقائى رغما عنهما .. هل أنا التى صنعت ذلك الواقع الذى أوقفنى فوق الرمال المتحركة .. أنا لم أحلم بشيء ولم أسع لشيء ولم اعتد على أحد .. الخطيئة الوحيدة التى ارتكبتها هى اننى خدعت نفسى ولم أنتبه للحقيقة الماثلة أمامى وهى أن أنات الفقراء ليس لها صدى .. ولن يكون!!

كان يضغط على نواجذه وهو يسترق السمع باهتمام شديد ، وقد اختلطت فى أعماقه المشاعر ما بين الدهشة والحيرة ، والمفاجأة والإشفاق .. ثم تملل قليلا قبل أن يبارها قائلا :

- أشعر وكأنك تلقين بالمسئولية على أبيك ، بالرغم من أنه كان حسن النية ولم يكن يتصور أنك سوف تعانين من ذلك .

قالت بإحباط شديد :

- الواقع لا يعترف بالنيات ولكنه يحترم الإمكانيات !!

قال بتأثر وصدق :

- مسكين عم فريد .. لقد ناله الظلم منك .. فما ذنبه إذا كانت ظروفه المادية لم تسعفه أو ..

قاطعته بلهفة :

- لا يمكن أن أظلم أبى لأنه كان فقيراً ... فهو فى نظرى على الأقل أعظم أب فى الوجود .. ولكنى عاتبة عليه لأنه لم يتبين طبيعة الدنيا على حقيقتها .. والإحساس بالظلم يعتبر نسبياً فى النهاية .. والدليل على ذلك موقف ابنائك منك .. فالانتماء لا يفرق بين الفقراء والأثرياء .. وأعتقد أن جميعكم يشملكم الإحساس بالظلم .. أليس كذلك .. و ..

أحسست بأنها قد لامست الجرح فى اعماقه عندما لاحظت أسارير الاكتئاب قد افترشت ملامحه فجأة .

فسارعت تقول مردهة بارتباك :

- أنا أسفه .. أقسم لك أننى لم أكن أقصد إيذاء مشاعرك .

جذب ابتسامه هادئة على طرف شفثيه بصعوبة .. ثم قال بنبرة كالهمس :

- لا تتأسفى .. فإنها الحقيقة على ما يبدو .

أرادت أن تخرجه من الحالة التي أصبح عليها .. فقالت بإصرار:

- لم تطرح على الاختيارات حتى الآن !!

اتسعت ابتسامته وهو يجيبها معلقاً :

- ذكائك يزيد من إعجابي بك .

قالت بدلال يفجر أنوثتها :

- سأستعين بالغباء لعدة لحظات .. و .. أكرر سؤالى مرة ثانية !!

أشعل سيجاراً جديداً وهو يصب لنفسه كأساً ، و كأنه يستنجد بأية وسيلة تمنحه قدراً أكبر من الشجاعه ليواصل حوار ه معها .. ثم عاد يوجه حديثه لها قائلاً :

- الحياة الدنيوية لا تمنح الإنسان كل ما يتمناه .. فذلك درب من المستحيلات .. وعادة ما تتفاوت الفرص بين الناس .. فهناك ما يحقق له أكبر قدر من الأمنيات ، وغيرهم قد يحصلون على فتات رغباتهم .. هكذا الدنيا .. وحياة الإنسان هي رحلة محددة تتخللها المقايضات والتنازلات والإخفاقات والنجاحات .. وفى النهاية الجميع يخضع لأحكام الأقدار .

قالت بلهفه :

- وأنا أمنت بذلك .. المهم أن .

قاطعها وهو يقف مبتعداً بخطوتين وكأنه يتجنب مواجهتها .. ثم أردف :

- سأطرح عليك بعض الاختيارات .. لكن .. أرجوك لا تفهميني خطأ ولا تغضبني مني إذا لم يرق لك ما سوف أقترحه عليك .

ظلت تنظر إليه وهي صامتة ، ولكنها راحت تحدث أعماقها :

.. تفوه .. انطق وقلها .. أنا أعلم أنك تريدني زوجه لك .. وأنا موافقة على قرارك .. فلا ترهقني وقل ما تريد الآن .. و ..

همست إليه بخبث وبنبرة منخفضة :

- لماذا تتوقع غضبي عندما تخبرني باختياراتك .. وما أدراك فربما يكون ما ستقوله هو رغبتى بالفعل !!

أجاب بتردد وحذر :

- اتعلمين أن فتحي العقبى لا يكل ولا يمل من الحديث عنك !!

عادت تهمس الى أعماقها مرودة :

.. ألن تكف عن المراوغة .. تكلم يا رجل .. أم تنتظر أن أفرض نفسي عليك .. تكلم أرجوك ، فأنا ظروفى لا تسمح بتلك المناورات .. قلها ولا تخف وستجدينى فى أقل من ثانية واحدة طوع أمرك .. و ..

قالت باستكانه :

- لا تبتعد عن الموضوع أرجوك .. فظروفي تتطلب منى اتخاذ قرار فوري بلا تلوؤ.

قال بكلمات سريعة وملاحقة :

- بصراحة فتحى العقبى ألمح لى أكثر من مرة بأنه يرغب فى الزواج منك فى مقابل أن يجعلك من نجومات السينما العربية .. و .. وهو أيضا تقريبا يعرف كل شىء عن ظروفك بحكم مجيئه المنتظم هنا .. وأعتقد أنه حل مناسب لكل مشاكلك .

ظفرت خيبة الأمل على كل ملامح وجهها ، وشعرت بالإحباط يسقطها من أعلى قمة أحلامها وتوقعاتها . فهى لم تتوقع قط أن يتخلى عنها عمرو كامل بهذه السهولة بعدما أفرط سابقاً فى الاهتمام بها ومساعدتها بحماس .

عاد مستطرداً بجدية :

- هذا مجرد اقتراح .. وأنت فى النهاية صاحبة القرار .. و .. أنا معك فى أى شىء تتخذينه .. فأنت ..

قاطعته بنبرة حزينة ويائسة :

- يبدو أننى شردت بخيالى بعيداً .. وكنت أتصور أنك تحمل لى مشاعر تعبر عن حقيقة تصرفاتك معى .

التفت نحوها وتساءل بدهشة :

- لا أفهم مقصدك .. هل أنا قصرت فى شىء معك؟!!

نهضت بهدوء واتجهت نحو أحد الكؤوس لتصب لنفسها مما يشرب منه . ولكنه أسرع إليها وأمسك يدها وهو يردد منزعجاً بصدق :

- ماذا تفعلين ؟ .. فأنا لا أحب أن أراك فى هذه الصورة .

سحبت يدها ببطء .. ثم رفعت رأسها لتتنظر إليه قائلة :

- لعل تلك الوسيلة تمنحنى الشجاعة لكى أستطع مواصلة حوارى معك .

قال بثقة :

- الصدق هو وحده الذى يمنح الإنسان الشجاعة للتعبير عما يريده .

قالت بلا تردد :

- كثيراً ما كنت أتساءل مع نفسى عن سر إحساسى بالحنين دائماً لرؤيتك .. وأتساءل أيضاً عن سبب ارتياحى الشديد كلما اقتربت منك .. إلى أن صارحتنى أنت بحقيقة ما حدث مع والدى .. فى هذه اللحظة وجدت الإجابة عن كل تساؤلاتى ، وادركت أن السبب هو وجود جزء من جسد أبى ينبض فى كيانك ..

فأصبحت أنت بالنسبة لى مصدر الحنان والأمان دون التزام  
منك .. و ..

تأملته بجرأة قبل أن تردف قائلة :

- قد تدهش من كلماتى .. ولكنها الحقيقة والصدق .. فأنا لدى  
أكثر من فرصة لى أغير من حياتى تماماً ، ولا أبالغ إذا قلت  
لك إننى فى هذه الحالة سيمكننى تغيير واقعى إلى مستوى لم أكن  
أحلم به يوماً .. والدليل على ذلك هو ....

وراحت تسرد عليه بحماس شديد كل شىء عن حياتها الخاصة ،  
وعن العروض والاعراض التى انهالت عليها من أكرم صدقى  
وأحمد فهمى وغيرهما .. ولكنها لم تستجب لأسباب كثيرة منها  
تحمسها لمبادئها وأخلاقياتها وصونا لكرامتها وعزة نفسها ..  
وأيضاً أنه كان أحد الاسباب دون أن يدرى هو نفسه .. و ..

وواصلت كلماتها بانفعال ينبض بالشجن :

- أنت الوحيد الذى لم يطلب منى مقابلاً .. وأنت الوحيد الذى لم  
يشعرنى ولو للحظة أننى مثيرة للشفقة .. بل أنت الوحيد الذى  
كان عطاؤك يمثل عطاء الأب وسمو مشاعر المحب الصادق ..  
عطاء القوة والترفع تماماً كالذئب والشمس والهواء .. بلا  
أغراض أو مقايضة .

و .. كاد رأسها ينفجر من هول المفاجأة التي باغتها عندما انتبهت لعينيه اللتين اغرورقتا بالدموع بصورة مفاجئة لم تكن تتوقعها منه هو بالذات ، فهي عرفته قوياً وشامخاً ومرتزناً وحكيماً ، وكان مثله لا ينبغى أن يستسلم لأية لحظة ضعف مهما كانت أسبابها

تساءلت بهلع حقيقى :

- أنت تبكى .. كيف ولماذا !!!

جلس وكأنه يتهاوى فوق مقعده ، ثم أشاح بوجهه بعيداً عن عينيها قبل ان يقول بصوت متحشرج :

- لم أكن أرغب ولا أتمنى أن اضطر لمواجهة تلك اللحظة التي جاهدت كثيراً أن أخفى معالمها عن الآخرين ... وعذك بصفة خاصة .

همست بحنان بعد أن استعادت هدوءها :

- أشعر بأن فى أعماقك بركاناً من الحزن على وشك الانفجار .. وأظن ان من حقى عليك أن أشاركك أحزانك كما كنت تفعل معى دائماً .

أجاب بتؤدة :

- نعم من حقتك .. وأعتقد أنه لا مفر من أن أخبرك بكل شىء .

و .. بدأ يكشف عن أغوار السر الذى تكتمه طوال السنوات  
الاخيرة

عندما أصيب بالمرض الخبيث وتوحش داخل مئانته ، وأصبح  
مضطراً للعلاج الكيماى الذى دمر الكثير من خلايا جسده والتهم  
كل مدخراته المالية تقريباً وبات على حافة الفقر والاحتياج ..  
وهو ما دفعه لى يسعى للموت قبل أن يسقطه المرض ويصبح  
فريسة لليالى الوحده والعجز ، وبأنه يريد أن يموت واقفاً قبل أن  
يدوق مرارة المنذلة وهوان القهر ، وكانت وسيلته هى الإفراط  
فى السهر وشرب الكحوليات والحياة غير المستقرة دون مراعاة  
لحسابات الزمن أو المنطق .. و ..

قاطعته برفق :

- وأبناؤك .. كيف لم تخبرهم بحالتك تلك .. وكيف لم تخبرنى أنا  
على الأقل !!؟

قال والأسى يملأ نبراته :

- أبنائى .. لقد تخلوا عنى وهم فى اعتقادهم أننى لازلت بقوتى  
وثرائى .. فكيف أتوقع منهم غير ذلك وأنا فى مثل حالتى  
هذه .. و ..

صمت لعدة لحظات وهو يتأمل وجهها بحب واضح ثم استطرده  
قائلاً :

- اما بالنسبة لك أنتِ ، فكنت أفعل المستحيل لكي لا أجعلك  
تفقدين آخر أمل لك في الإنسان الذى يسانئك في الحياة من أجل  
تحقيق أهدافك وأحلامك .. وكما ..

ولكنها تتدخل مرة أخرى بتلقائية وإصرار :

- أما أنا فلن أبرح هذا المكان منذ هذه اللحظة .

اتجه بنظره إلى ساعة الحائط التى أشارت الى الواحدة بعد  
منتصف الليل ..

وقال باضطراب :

- الوقت متأخر يا ريم وقد سرقنا الزمن كعادته .. وعليك

بالانصراف الآن وسوف نكمل حديثنا غداً .. و ..

عادت تقول بإصرار أشد :

- أخبرتك بأننى لن أبرح ذلك المكان .. ليس بصفتى ريم ابنة

صديقك عم فريد .. ولكن بصفتى زوجتك .

اتسعت عيناه فى ذهول وهو يعقب قائلاً :

- ما الذى تقولينه يا ريم .. فأنا ..

قالت بتحد :

- هذا هو اختياري الأخير .. وأنت وعدتني بأن تحقق لى ما

أختاره برغبتي فقط .

- أرجوك لا ..

لم تدع له فرصة لاستكمال جملته .. وقالت :

- أرجوك أنت .. لا تتعمد إهانتى بعد أن فرضت نفسى عليك .

أجاب مستسلماً :

- على كل حال لن أستطيع مقاومة عنادك فى هذا الوقت المتأخر .. أنا سأدخل غرفتى وأغلق بابها .. وفى الصباح سنكمل حوارنا . واختارى لنفسك أية غرفة من الغرف الأخرى .

تعمدت أن تفرج شفتيها عن ابتسامه واضحه وهى تردد :

- أنا على يقين بأنه سيكون أجمل صباح فى حياتى .. لأننى لأول مره منذ سنوات طويله سوف أنام وأغفو بلا أرق ولا هموم .  
و .. تركته واندلقت داخل إحدى الغرف بلا تحديد .

---

كالغريب الذى يجد نفسه وسط أناس لا يعرف لغتهم ولا طبائعهم ، وهو فاقد لكل مقومات التعامل حتى بلغة الإشارة .. وكأنه سقط فجأة فوق صحراء جرداء لا نهاية لها ولا أمل له فى البقاء والنجاة .

هكذا كان أحساس أحمد فهمى بعد أن أفترسته الحيرة بقسوة شديدة وهو يبحث عن ريم فى كل مكان وعن مبرر منطقي لاختفائها المفاجئ .. موبايها مغلق دائماً .. وصديقتها الوحيدة سامية لطفى فى إجازة استعداداً للزواج من خطيبها .. دفعه اليأس لأن يذهب إلى الكازينو الذى التقيا به فى آخر لقاء بينهما دون جدوى .. سار بسيارته وعلى قدميه باحثاً عنها بين الماره على أمل أن يراها أمامه فجأة كما اختفت فجأة .

وكما تتفجر ينابيع الماء أو البراكين الملتهبة ، وكعادة مشاعر الحب فى مثل تلك الظروف حيث تتحول الى خلايا هلاميه تسرى فى كيان المحب وتسيطر عليه تماماً ، ويصبح الحب كالعبء الثقيل الذى يجثم فوق صدره ويؤرق حياته ويحرمه من كل رغباته وإرادته ولا يستبقى له إلا لوعة الحيرة والاشتياق .

كانت عودة سامية لطفى من إجازتها بمثابة طوق النجاة بالنسبة له الذى انتشله من تلك الرحلة القاسية ، وما إن ألتقى بها داخل

المستشفى الذى تعمل به حتى سارع بمبادرتها بلهفة متسائلا بلا مقدمات:

- أين ريم يا آنسة سامية؟!

ولم تكن سامية لطفى فى احتياج لأن تستفسر عن سر لهفته ، لأنها علمت بما حدث منه من خلال حديث ريم معها وكأنها أشفقت عليه من الحالة التى وجدته عليها .. وأجابت بهدوء :

- ريم بخير يا أستاذ أحمد .

حاول أن يسيطر على انفعالاته وهو يقول :

- لقد انقطعت أخبارها عنى .. ولا أعرف السبب فى ذلك .

رمقته بنظرة لوم .. ثم قالت :

- أنت محق حيرتك .. ولكنك .. أقصد دون أن تدري نهشت فى أعماقها بقسوة ولم يكن أمامها غير قرارها بالابتعاد عنك .. وتحملت وحدها مرارة ذلك القرار .

صمت برهة وكأنه يحاول استيعاب إجابتها .. ثم تساءل بحذر :

- أنا لا أفهمك !! ما السبب وما الحقيقة؟!

و .. أخبرته بكل شئ

بدا صامتاً ومذعوراً وهو يستمع إلى كلماتها ، التي شعر بأحرفها وكأنها تحولت إلى أسنة رماح مسمومة أو نصل سكين حاد ومدبب ترشق جسده وتمزق كيانه بلا رحمة .  
تمتم مشدوها :

- أنا لم أقصد الإساءة إليها .. كما أنني لا أعرف أية خلفية عن مستوى حياتها الأسرية .. و ..  
قاطعته بهدوء أكثر إثارة :

- وما ذنبها في ذلك !!؟

تساءل بلهفة :

- وأين هي الآن ؟!

أجابت مسرعة :

- لا أعرف .. فلقد كان آخر لقاء بيننا منذ شكواها من تصرفك .  
نظر إليها بتشكك .. فأردفت قائلة :

- صدقنى .. أنا بالفعل لا أعرف أين هي الآن .

و .. هي حقاً لا تعرف مكان ريم في ذلك الوقت .

كانت ريم قد بدأت رحلة جديدة إلى عالم مختلف تماماً عن واقعها القديم بعد قرارها الأخير الذي اتخذته بشأن علاقتها بعمر و كامل .

سكنت في لحظة تأمل مع ذكرياتها ، لتجد نفسها وجها لوجه مع مقارنة فرضها الواقع عليها بينها وبين موقف أكرم صدقي بزواجه من المرأة التي تكبره بثلاثين عاماً من أجل تحقيق أحلامه وأهدافه .

هو باع شبابه ليشتري به باقى عمره .. وهى اشترت شيخوختها مقابل إرضاء ضميرها ، واعترافاً بالجميل !!

فكان قرارها بالعمل في مجال الفن من خلال رغبة الناقد الفنى فتحى العقبى كوسيلة سريعة لتغطية نفقات علاج عمر و كامل الذى كان المرض اللعين يهاجمه بشراسة يوماً بعد يوم حتى أقعده تماماً بلا حول أو قوة وأصبح طريح الفراش لا يملك إلا الأمل في نهاية عذابه بموته السريع .

وكان لموقفها التلقائى غير المتعمد له أكبر الأثر في نفوس كل من حولها وفي مقدمتهم فتحى العقبى الذى تخلص عن نظرته إليها كأنثى وتعامل معها كإنسانه تنبض بكل معانى الإنسانية كقدوة حقيقية للقيم والمبادئ النبيلة التى توارت عند الكثيرين تحت غبار اللهث وراء المال والشهوات الدنيوية .

تكاثف الجميع حولها وأجمعوا على مسانبتها وبدأت أخبارها الفنية تتصدر الصفحات المتخصصة ، وكان لها ما أرادت بأن تكون أول بطولة لها من خلال إحدى روايات عمرو كامل حتى تصبح الاستفاداة المادية مزدوجة لصالحه .

كانت سعادة سامية لطفى تفوق كل التوقعات عندما فاجأتها ريم بزيارتها فى مقر عملها بالمستشفى .. وكعادتها المرحة بإدائها قائلة وهى تتلمس كتل اللحم التى تكسو عظامها :

- يبدو أن هؤلاء المنتجين قد أصابهم العمى .. ألسنت أنا الأفضل والأصلح للبطولة فى الأفلام بدلاً منك .. على الأقل "أنا سأملأ الشاشة بقوامى الممتلى ، أما أنتِ فبسبب نحافتك سوف يراك المشاهد بصعوبة .. و .. وأطلقت ضحكاتها بصوت ارتطم بجدران الغرفة وهى تهتز بشدة فى نشوة من مفاجأة اللقاء .

قالت ريم بهدوء وشجن :

- أنا فى أحتياج للحديث معك .. أشعر بالوحدة بالرغم من تودد الجميع لى .

أخذتها إلى غرفة الاستراحة الخاصة بها .. ثم قالت بجدية :

- ماذا بك يا حبيبتي .. قولى كل شىء يا ريم .

و .. قالت ما عندها .

كانت الدموع تذرف من عين سامية لطفى بنفس غزارة  
ضحكاتها بل وصل التأثير بما تسمع إلى درجة النحيب وهي غير  
قادرة على التماسك أمام تلك الأحداث التي روتها ريم بكل  
تفاصيلها وكشفت من خلالها أنها لم تكن ترغب أو تتمنى يوماً  
أن تقتحم مجال التمثيل ، ولكنها قبلت تحت ضغط الظروف  
القاسية التي مرت بها وأنها تشعر بالحسرة والندم لتخليها مؤقتاً  
عن حلم عمرها بأن تصبح طبيبة كما كان يأمل أبوها .

وبصعوبة تمتت سامية بصدق قائلة :

- وهل يستحق عمرو كامل كل هذه التضحيات !؟

اهتزت ريم من هول المفاجأة ، وكأنها تلقت لكمة قوية على  
وجهها من هذا السؤال .. وأجابت بلهفة :

- بالتأكيد يستحق ما هو أكثر من ذلك .. إنه نوع من الرجال  
يضم في وجدانه مشاعر ملائكية يصعب أن تجديها في هذا  
الزمان .. رجل وجد لحياته معنى كلما سعى لإسعاد الآخرين من  
حواله .. يكفيه أنه احتفظ بالجميل لوالديه ولم يحاول يوماً  
استثمار اقترابى منه بالرغم من احتياجي الشديد لمساندته  
لى .. و ..

فاجأتها وهي تقاطعها متسائلة :

- هل وقعت في حبة يا ريم !؟

صممت برهة قبل أن تجيئها قائلة :

- أحببته كرمز وقدوة .. وأعتقد أن هذا الحب قد يفوق كثيرا المشاعر الحسية التي تعارف عليها الآخرون .

عادت تتساءل بحذر :

- والزواج !!

- للأسف .. لم يمهله المرض لإتمام زواجنا .. وقد تعمدت إخفاء هذه الحقيقة حتى أتمكن من استمرارى بجواره .

- وأين أبناؤه !؟

- هم لا ينتمون إليه إلا بارتباطهم باسمه فقط .. أمثال هؤلاء موجودون بكثرة بيننا ولكننا نتعلل بأكذوبة ساذجة بأن ذلك هو حال تلك المرحلة .

وكان مشاعر البنوة والأبوة أصبحت تتلون حسب تطور المدينة.

وعلى غير المتوقع رددت سامية لطفى قائلة :

- مسكين أحمد فهمى !!

رمقتها بنظرة مندهشة .. بينما استطردت سامية قائلة :

- نعم مسكين بحق .. الغموض يعذبه .. ولو علم بتلك الأحداث  
وبهذه الحقائق لربما هدأت مشاعره المضطربة .. فأنت لا  
تتصورين يا ريم قدر المعاناة التي يعانيتها بسبب اختفائك عنه .

همست وكأنها تتحدث مع نفسها :

- من الصعب التصدى لأحكام القدر .

لاحقتها وهى تقول بحب :

- ولكن من الظلم أن نقسو على أنفسنا .. الوضوح فى مثل تلك  
الامور قد يخفف من وطأة الأحزان .. و .. معرفة السبب يبطل  
العجب !!

تساءلت باهتمام :

- ماذا تقصدين؟!

- يجب أن تخبريه بالحقيقة .. وهو من حقه أن يعرفها .. أليست  
كذلك؟!

اشارت برأسها وهى تقول :

- أنا حائرة .. ولا أعرف ما الذى يجب أن أفعله .. فكل ما  
يشغلنى الآن هو حياة عمرو كامل ومساندته فى محنته تلك .

فاجأتها مرة ثانية وقالت :

- وحياتك أنت .. ألم تفكرى فى نفسك لحظة .. فلا بد أن تصارحيه بالحقيقة .. هل تشعرين بأية عاطفة تجاه أحمد فهمى أم لا ؟!

ابتلعت ريقها وكأنها تبتلع الحقيقة قبل أن تطفو على سطح حوارهما ثم نهضت فجأة وهى تردد :

- يبدو أن كل من هم فى مثل ظروفى لا يحق لهم أن يفكروا فى أنفسهم .. وكان أقدارهم أوصيته عليهم وعلى حياتهم .

وقفت هى الأخرى وقالت بجديّة :

- أنتهريين من الإجابة ؟!

قالت وهى تتأهب للإنصراف :

- ليتنى أستطيع الهروب من أمور كثيرة .. فالقدر يعيش فى وجدانى فكيف سأهرب من نفسى ؟!!

و .. انصرفت من أمامها فجأة كما ظهرت إليها فجأة .

لحظة غروب قاتمة .. كانت الشمس تلمم سواعدها الذهبية  
بتثاقل وبطء شديد ، وكأنها لا ترغب فى الرحيل.

دخلت ريم إلى غرفة عمرو كامل المستلقى على فراشه فى  
استسلام تام وفى عينيه نظرة ما بين اليقظة والإعياء .

سألته وهى تستعين بابتسامة باهتة فوق شفثيها :

- كيف حال أديبنا العبرى الآن؟!!!

التفت إليها بصعوبه وقال بهمس :

- إشفاقى وقلقى عليك يفوق إحساس الألم.

جلست على طرف الفراش وقالت بمرح:

- أتشفق على فنانة كبيرة مثلى تستعد لاستقبال بشائر  
النجومية!!!

قال بنبرة حزينة:

- أشعر بالذنب لأننى كنت السبب فى حرمانك من تحقيق  
حلمك وحلم والدك .. لقد قهرنى المرض ولم أعد فى  
استطاعتى شيئاً.

ترقرق بريق الدمع فى عينيها قبل أن تقول :

- لا تقل هذا .. فأنت بالنسبة لى أعظم من أى حلم وأغلى من كل طموح .. وكل ما أتمناه الآن أن أراك سليما ومعافى

ارتعشت شفتاه وهو يجيبيها قائلا :

- وها هى أمنيته أخرى تنهار بسببى أيضا .. فأنا لا أملك أن أحققها لك .. و ..

ازدرد ريقه بصعوبة .. ثم أردف :

- إننى أكاد أشتم رائحة الموت وهو يحوم حولى .

لم يعد فى استطاعتها التصدى لمدامها فتركته مضطرة لى تنساب فوق وجنتيها وهى مسلوبة الإرادة .

فبادرها وهو يحاول أن يلامس يدها :

- أرجوك لا تبكى يا ريم .. لا تحزنى يا غالية .. فالفراق بالموت فى بعض الأحيان يكون رحمة للآخرين .. والخلاص من قهر العذاب .

اقتربت وهى تضمه إلى صدرها لأول مرة منذ عرفته .. ورددت بنبرات كالنحيب :

- يجب أن تقاوم من أجلى .. ومن أجل كل قرانك .. فأنت ..

قاطعها بحنان وهو يتلمس خصلات شعرها :

- أنتِ أجمل رواية لم أكتبها فى حياتى .. ولن يمهلنى القدر  
أن أفعل ذلك .. فأكملها أت على أرض الواقع .. وحققى لى  
آخر أمنية فى عمري .

بكت بصوت عال .. فرفع رأسها بكف يده الواهنة .. وقال  
وهو يحاول الابتسام :

- ابنتى ريم التى أعرفها جيدا .. لم تكن تبكيها الأزمات .. لا  
تدعيني أرى دموعك .. فأنت أقوى بكثير من لحظات  
الضعف .

قالت من خلال نحيبها :

- ليتنى أرحل عن الحياة .. قبل أن أواجه لحظة فراقك .

أجاب من خلال حشجة أنفاسه :

- يكفينى أن ذكرأى ستعيش فى وجدانك ، كما عاشت ذكرى  
والدك فى كيانى .

عادت تحتضنه مرة ثانية ، ودون أن تدرى رددت قائلة بلا  
وعى :

- أرجوك لا ترحل يا أبى .. أرجوك لا تتركنى وحيدة !!

ولكن .. صدى توسلاتها ذاب فجأة وسط فراغ اللاوجود .

مات عمرو كامل وهو يحتضنها على أمل أن تظل بين ذراعيه إلى ما بعد الحياة

المفاجأة بدت أعظم من قدرة اللحظة الزمنية ، فأنفجرت إلى الإحساس بالعدم بالنسبة لريم .. وكان الحياة قد اختصرت إلى صورة فوتوغرافية مليئة بالبشر والأشياء ولكنها جماد بلا حياه .. كل شيء تجمد بداخلها وحولها حتى ملامح الآخرين .

الخبر تناقلته وكالات الأنباء ، وتلقفه الإعلام المقروء والمرئى

**\*\* وفاة الروائى الكبير عمرو كامل.**

**\*\* الأديب عمرو كامل يرحل عن الحياة بعد معاناة كبيرة مع المرض .**

**\*\* فقدت الساحة الادبية أحد كبار كتاب الرواية عمرو كامل.**

و .. كان القدر رحيمًا بالجميع عندما ظهر أحد أقرباء عمرو كامل الذين ينتمون لأسرته بالاسم فقط وأدلهم على مدافن الأسرة حتى يتمكنوا من وداعه الأخير بها .

وقفت ريم أمام المقبرة وكل كيائها يرتجف من شدة وقسوة البكاء المكتوم ، وقد غابت الرؤية عن عينيها بعدما احتلت مدامعها مقاتليها ، والجميع يصطفون خلفها ولم يستطع أحد منهم الاقتراب منها بسبب حالة الغموض التي سيطرت على عقولهم والحيرة التي تملكتهم من تباين موقفها .. فهم لا يدرون إن كان بكاؤها على الزوج أو الأب أو الجار أو الصديق .. أو على ذكرياتها .

حتى هي لم تكن تعلم مصدر الشجن الحقيقي بداخلها .. هي تبكي فقط على فراق أغلى ما لديها .. قطعة من جسد أبيها وكيان آخر توارى تحت التراب .

لحظة أعادت إلى وجدانها ذكرى فقدانها لأبيها عم فريد الذي اختطفه الموت من أحضانها تماما كما أعاد الكرة مرة ثانية معها وهي في أحضان عمرو كامل .

ارتدت الليلي وشاح الحزن الأسود وهي تمضي بتثاقل في حياة ريم فريد ، تحجرت الطموحات في وجدانها وأصبحت أحلامها بلا هوية، كان احساسها بالفراغ يطبق على صدرها

إلى حد الاختناق .. فلا أصدقاء ولا أشقاء ولا أقرباء ..  
الجميع تعمد عدم الاقتراب منها مراعاة لمشاعرها ولقدر  
الكارثة التي أصابتها .

تركوها لوحدها ولذكرياتها ، وهم لا يدرون بأنهم يتركونها  
فريسة بريئة لشياطين الهواجس المفزعة التي صدرت اليها  
مشاعر الخوف والقهر والاحباط .. الخوف من مستقبلها قبل  
حاضرها ، وقهرها أمام واقعها العنيد ، وإحباطاتها المنتالية  
إزاء كل بارقة أمل كانت ترفرف على مشارف مستقبلها .

شعرت بالغثيان والمرارة والقرف ، وهي تستلم ثلاث  
برقيات من موظف البريد مرسله من أبناء عمرو كامل تمثل  
حالة صارخة ومؤلمة لعقوق بعض الأبناء ، حيث أرسل كل  
منهم برقية عزاء للآخر لوفاة والدهم حيث يعتقد كل منهم أن  
الآخر لا يزال يقيم مع أبيه وبالتالي فهو يتقبل العزاء بديلا  
عن المرسل نفسه .. لقد ابتلعتهم الغربة والتهمت إحساسهم  
بالانتماء لوطنهم قبل أبيهم ، لتظل المقايضة ما بين المال  
ومشاعر الانتماء هي أسوأ وأبشع تجارة تمت وتتم في تاريخ  
الانسانية بعدما علموا بنبا وفاة والدهم من خلال الإنترنت  
وكانها هي وسيلة التراحم المستحدثة في ذلك الزمان الغادر.

أسقطت البرقيات من يدها إلى الأرض ، وكأنها تخشى على أناملها من أن تلوثها معانيها المرسلة فيها وبتلقائية وضعتها في الموقع الذى يناسبها .. تحت الأقدام .

كانت عقارب الساعة قد اقتربت من منتصف النهار ، عندما ترامى الى مسامعها رنين جرس الباب .. لتجد نفسها فى مواجهة مفاجأة لم تكن تتوقع حدوثها حتى فى لحظات غيبوبة اليقظة .

أحمد فهمى يقف امامها .. تسمرت أحرف الكلمات فوق شفيتها ومضت لحظات صمت بينهما وكأنها تستعيد من ذاكرتها كيفية التصرف إزاء ذلك الموقف أو ما هو المفترض أن يكون فى هذا الشأن .

وبنبرة مضطربة وحذرة ردد عدة كلمات متعارف عليها للعزاء ، وفى أثناء ذلك أفسحت له الطريق وهى على حالة الصمت التى عليها وأجلسته أمامها قبل أن تقول بصعوبة :

- أهلا بك .

قال وكأنه ينفى عن نفسه تهمة التهور بالحضور إليها :

- أنسة سامية أخبرتنى بكل شئ .. و .. أيضا بعنوانك هنا وأنا لم أكن ...

قاطعته بهدوء بعدما استعادت اترانها قليلا :

- أنت لست فى حاجة لأى مبرر .. وأهلا بك فى كل وقت .

كلماتها منحته بعض الثقة قبل أن يقول معاتبا بحذر :

- لماذا لم تخبرينى بحقيقة مشاكلك !؟

أجابت بحزم:

- كل إنسان لديه ما يكفيه من همومه .

- وما الفرق بيننا .. فأحساسى بك بأننا كيان واحد .

رمقته بنظرة سريعة ، وكأنها تتجنب أن تلتقى بنظرته لكى لا تكشف عن ضعفها تجاهه .. وظلت على صمتها .. فبادرها قائلاً:

- أقسم لك بأننى لم أقصد إيذاء مشاعرك .. فأنا كنت فى لحظة غضب لم أجد لها تفسيراً حتى الآن .. ربما تصورت أن العاملين فى الجراج تعمدوا أن يفعلوا فعلتهم معى .. وأنا..

عادت تستوقفه وهى تقول بصدق :

- صدقنى أنت لست المسؤول عما حدث .. فالمشكلة كانت  
عندى ويبدو أننى لم أستطع التخلص من معاناتها فى  
أعماقى.

لاحقها قائلاً :

- الحقيقة أنه كان يجب أن تفتخرى بها .. لا أن تعانى منها  
.. فأنت ابنة رجل يتمناه كل ابن فى الوجود .. لقد ظلمت  
نفسك وظلمتني معك بلا منطق أو أساس .

عادت مسحة الحزن تفترش أسارير وجهها .. وقالت بهدوء:

- أشعر بالقدر يترصدنى وكأنه يتربص بى .. إنه يعيش فى  
وجدانى ، وأصبحت لا أملك حرية الاختيار .

أسرع يقول :

- إن كان الأمر كذلك .. فأنا أتوسل لقدرك أن يجعلك على  
طريقي إلى الأبد .

- فى الحقيقة أنا لم أعد ....

أصر على مقاطعة حديثها .. وأردف قائلاً :

- مكانك ليس هنا يا ريم .. منزلك فى انتظارك .. لقد أعددت  
كل شىء فيه لاستقبالك.

قالت بنبرة حائرة :

- وفاة الأستاذ عمرو كامل ، جعلتني أشعر وكأنني أسير على حافة هاوية ليس لها قرار .. هذا الرجل العظيم هو أيضا تحمل ما لا يستطيع أحد تحمله من دناءة الجحود وشراسة المرض .

أجاب مسرعا :

- أنا أعلم أنك مرتبطة بعقود واتفاقيات مادية .. ولكنك لست مسئولة عنها منذ هذه اللحظة .. فسأتولى تسديدها فورا .. و..

صمت برهه ازدد فيها ريقه مرة ثانية، وكأنه يمنحها فرصة التفكير للحظات

ثم عاد مستطردا :

- إلا إذا كنتِ ترغبين مواصلة رحلتك الفنية .. فأنا بجانبك في كل الحالات .

نظرت إليه بعينين استقرت فيهما كل مشاعرهما المتدفقة نحوه .. ثم همست :

- أنا أريد ان أعيش الحقيقة .. لا التمثيل .

أجاب ببهجة صادقة :

- الحقيقة مشروطة بشرط واحد .. وهو أمل لا تحرميني من تحقيقه .

تساءلت بدهشة أقرب إلى التوجس:

- ما هو الشرط !!؟

قال بحب واضح :

- أن تأخذيني إلى مقبرة أبيك عم فريد .. لأقسم أمامه أننا سوف نحقق حلمه معا خلال العام القادم .. وتصبحين الدكتورة ريم كما أراد .

ترقرقت دموع الفرح في مقلتيها وهي تنهض قائلة :

- عشت طوال حياتي مؤمنة بأن الحب الحقيقي موجود في مكان ما .. وإننى سوف ألتقى به يوماً .. وها أنت أمامى اليوم .

وقف مردها بسعادة بالغة :

- لقد طال انتظاري لك يا غالية .

تأبطت ذراعه واتجها نحو الباب منصرفين .. تاركين وراءهما ذكريات قد لا تموت .. ولكنها حتماً لن تعود .

**تمت**

## الإصدارات الروائية للأديب أحمد فريد

\*\*\*\*\*

1972	نشرت في ليبيا	همسة وداع
1973	نشرت في ليبيا	الشك
1975	نشرت في ليبيا	خطوات بلا طريق
1976	مطبعة النهضة بالقاهرة	نبضات لا تموت
1980	دار غريب بالقاهرة	الحب وحده لا يكفي
	فترة التفرغ	ممر الذئاب - ثلاثة أجزاء
1982	دار غريب بالقاهرة	دعنى أحاول
1983	دار غريب بالقاهرة	عندما يبكي الرجال
1984	دار غريب بالقاهرة	لا تدمرنى معك
1985	دار غريب بالقاهرة	يا صديقى كم تساوى
1987	دار غريب بالقاهرة	لن تسرق حبنى
1990	دار غريب بالقاهرة	سامحنى يا حب
	فترة التفرغ	الحب الكبير - ثلاثة أجزاء
1994	دار قباء بالقاهرة	هو منتهى الحب
2001	دار قباء بالقاهرة	عمر عمرى
2002	دار قباء بالقاهرة	كذبت عليك فصدقتى
2004	دار قباء بالقاهرة	يا أنا لا ترحل عنى
2005	دار قباء بالقاهرة	حب بلا مأوى
2006	دار قباء بالقاهرة	الحب بعد المساومة
2007	دار قباء بالقاهرة	لألىء الوحل
2008	دار قباء بالقاهرة	من يشتري عمرى
2010	الدار المصرية السعودية	لا تعاقبنى يا حب
2011	دار قباء الحديثة	مشاعر مقترسة

- دارقباة أعاءة طبع ؤمبع الأعمال الروائية .

- حصل على ؤائزة مهران القاهرة السينمائي عام ١٩٨٢ عن أهن قصة لفيلم

" الحب وحده .. لا يكفى " إخراج على عبء الخالق .

- ترجمة رواية " الحب .. وحده .. لا يكفى " ورواية " عنء ما يبكى .. الرجال "

إلى اللغة الصينية .

- تمء ترجمة رواية " هو منتهى الحب " إلى الإنءليزية .

- صءرت الطبعة الثالثة من رواية " هو منتهى الحب " فى كتاب الجمهورية

• الأعمال الءى ءءوءت إلى أفلام سينمائية :

- " الحب وحده .. لا يكفى .. " إخراج على عبء الخالق - سيناريو وءوار " مصطفى مءرم "

- " عنء ما يبكى .. الرجال " .. إخراج حسام الءين مصطفى .. سيناريو

" مصطفى مءرم " وءوار " بهءء قمر " .

- لا ءءمرنى معك " إخراج محمد عبء العزیز .. سيناريو وءوار " أءمء صالح " .

- " يا صءيقى كم ءساوى " .. إخراج يوسف فرنسیس .. سيناريو وءوار " يوسف فرنسیس " .

- عءو إءءاء الكتاب منذ بءاءه .

- عءو ءاى القصة .

- عءو الجمعية المصریة لءاب وءقاء السینما .

- عءو رابطة الأءب الءءیء .